Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وزارة الثقافة

المختار من التراث العربي

(٧٢)

من

نثر الدر

للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

الجزء الثاني

اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها

مظهر المحمي

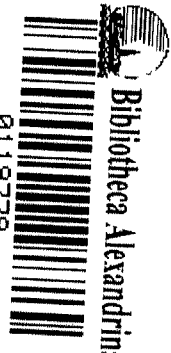

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاشراف الفني : زهير الحمو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من نثر الدر ـ السفر الثاني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهيئة العامة ... رقم الاعداد ... رقم الاعداد

وزارة الثقافة
المختار من التراث العربي
٧٢

من نثر الدر

للوزير الكاتب أبي سعد منصور بن الحسين الآبي

المتوفى سنة ٤٢١ هـ

السفر الثاني

اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها

مظهر الحجي

...rization of the Alexandria ...
Bibliotheca Alexandrina

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من نثر الدر / أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها مظهر الحجي. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٧. - ٤ ج؛ ٢٠ سم. - (المختار من التراث العربي؛ ٧١ - ٧٤).

١- ٨١٨,٠٢ س ع د م ٢- العنوان ٣- أبو سعد الآبي
٤- الحجي ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٤٤١ / ٣ / ١٩٩٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الأوّل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلام معاوية بن أبي سفيان وولده

قال الهَيثَمُ (١) : خرج معاويةُ يريدُ مَكّةَ ، حتى إذا كان بالأَبواء (٢) اطّلَعَ في بئرٍ عادِية (٣) ؛ فأَصابتْهُ اللَّقْوَة (٤) . فأَتى مكةَ ، فلما قَضَى نُسُكه ، وصار إلى منزله ، دعا بثوب ، فلفّه على رَأْسه ، وعلى جانب وجهه الذي أصابه فيه ما أصابه ، ثم أذِن للناسِ فدخلُوا عليه ، وعنده مروانُ ، فقال :

إنْ أَكُن قد ابتُلِيتُ فقد ابتُلي الصالحون قَبْلي ،

---

(١) هو الهيثم بن عدي أبو عبد الرحمن الطائي الأخباري المؤرخ ، توفي سنه ٢٠٧ هـ .

(٢) الأبواء . قرية بينها وبين المدينه ثلاثة وعشرون ميلا ، بها قبر والدة الرسول عليه السلام .

(٣) بئر عاديه : قديمة نسبة إلى عاد

(٤) اللقوة . داء يصيب الوجه فيعوج الفم أو جانب منه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأرجو أن أكونَ منهم وإنْ عُوقِبتُ فقد عُوقب الظالمُون قبلي، وما آمَنُ أن أكونَ منهم، وقدابتُلِيتُ في أحسَني (١) وما يَبدُو مني ، وما أحصِي صحيحي . وما كان لي على ربِّي إلا ما أعطاني . واللهِ إنْ كان عَتَبَ بعضُ خاصَّتِكم لقد كنتُ حدباً على عامَّتِكم ؛ فرحمَ اللهُ امرءاً دعا لي بالعافية .

دخل المسْوَر على معاويةَ ، فقال له : كيف تركتَ قريشاً ؟ قال : أنتَ سيدُها يا أميرَ المؤمنين ، أعلاها كَعْباً ، وأسودُها (٢) أباً ، وأرفعُها ذِكْراً وأجلُّها قدراً . قال : كيف تركتَ سعيداً (٣) ؟ قال : عليلاً . قال : للّيَدينِ وللْفَم (٤) :

---

(١) المعنى : في أحسن عضو ، والظاهر لكل إنسان وهو وجهه .

(٢) أسودها . من السيادة .

(٣) يريد سعيد بن العاص كما سينبين من الكلام بعد

(٤) هذا من أقوال العرب في الدعاء على الإنسان : أي : أسقطه الله لليدين وللفم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بِهِ لا بِظَبْيٍ بالصَّرِيمَةِ (١) أعْفَرَاً (٢)

قال : وعمرو بن سعيدٍ صبيٌّ يسمعُ قوله من وَرَائِه . فقال : إذاً والله لا يسدُّ جُفْرَتَكَ (٣) ، ولا يزيد في رزقِك ، ولا يدفع حتْفاً عنْكَ ، بل يفتُّ في عضُدِك ، ويبيضُ ظهرك ، وينشُرُ أمرَكَ ، فتدعُو فلا تُجاب ، وتَتَوعَّدُ فلا تُهَاب .

فقال معاوية : أبَا أُمية ؛ أراك ها هنا . إنَّ أبَاكَ جارَانا إلى غايةِ الشرف ، فلم نَعلق بآثارِه ، ولم نقُم لِمحفَارِه (٤) ، ولم نلحق بمضمارِه ، ولم نَدنُ من غُبَارِه ، هذا مع قوة مكانٍ ، وعزة سلطان . وإنَّ

---

(١) الصريمة : القطعة المنفردة من الرمل

(٢) عجز بيت صدره

أقول له لما أتاني نعيه

والبيت للفرزدق .

(٣) الجفرة : مجمع البطن والصدر .

(٤) المحفار . الفرس الشديد العدو .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أثقل قومِنا علينا مَن سبقنا إلى غايةِ شرفٍ ؛ فأخذ أبوكَ علينا القَصَبة (١) ، ومالكَ دوننا الغلبة .

رُوِيَ أن عمرَ بن الخطّاب — رضي الله عنه — قدم الشامَ ، ومعه عبدُ الرحمن بن عوف أو أبو عبيدة ، وهما على حمارين قريبين من الأرض ، فتلقّاهما ، معاويةُ في كوكبةٍ (٢) خشناء ؛ فثنى وركَه ، فنزلَ ، وسلّم بالخلافة : فلم يردَّ عليه ، فقال له عبد الرحمن أو أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين أحضرتَ الفتى(٣) فلو كلمتَه . فقال : إنكَ لصاحبُ الجيش الذي أرى ؟ قال : نعم . قال : مع شدّةِ احتجابكَ ، ووقوفِ ذوي الحوائج ببابك ؟ قال : أجل . قال : لمَ ؟ ويلكَ ! قال : لأنا ببلادٍ يكثُر بها جواسيسُ العدوّ ، فإن نحنُ لم نتّخذْ العُدّةَ والعدد استخفّ بنا . وهجم على عورتنا . وأنا

---

(١) المراد : سبق إلى المعالي يقال للمراهن في السباق : أحرز القصبة ، لأنهم كانوا يركزون قصبا عند غاية المضمار .

(٢) الكوكبة : الجماعة ، والخشناء : الكثيرة السلاح .

(٣) بمعنى حثّ به أو دعونه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ بعدُ ـ عامُلك ؛ فإن وقفْتَني وقفتُ ، وإن استزدتني زدتُ ، وإن استنقصتني نقصتُ .

قال : والله لئن كنتَ كاذباً إنه لرأيُ أريبٍ . ولئن كنت صادقاً إنه لتدبيرُ أديب . ما سألْتُك قطُّ عن شيءٍ إلا تركتني فيه أضيقَ من رواجبِ الضِّرسن (١) . لا آمرُك ولا أنهاك .

فلما انصرف قال له صاحبه : لقد أحسنَ الفتى في إصدارِ ما أوردتَ عليه . قال : بحسن إصدارِه وإبرادِه جشَّمناه (٢) ما جشَّمناه .

قال معاويةُ : معروفُ زماننا هذا منكرُ زمانٍ قد مضى ، ومنكرُ زماننا هذا معروفُ زمانٍ لم يأْتِ .

ومن كلامه : الفرصةُ خُلْسة ، والحياءُ يمنع الرزقَ ، والهَيبةُ خيبةٌ ، والحِكْمةُ ضالَّةُ المؤمن .

---

(١) الرواجب . أصول الأصابع ، والضرس : الرجل الداهيه والمراد تركتني في أمر يصعب علي الخروج منه .

(٢) جشمه : كلفه أمرا فيه مشقه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال ذاتَ يومٍ لابنه يزيد : يا بُنَيَّ ؛ لا تستفسدِ الحر فساداً لا تصلحُهُ أبداً . قال : بماذا ؟ قال : لا تشتُمَنَّ لَهُ عِرضاً ، ولا تصربَنَّ له ظَهْراً ، فإن الحرَّ لا يرَى الدُّنْيا عِوضاً مِن هذين ، ولكن خُذ مالَه ، ومتى شئتَ أنْ تُصلِحَهُ فمالٌ بمالٍ .

وقال له عمرو بن العاص : قد أعيانِي أن أعلمَ شُجَاعٌ أنْتَ أم جَبان ؟ فقال :

شجاعٌ إذَا مَا أمكَنَتْنِيَ فرصةٌ
وإن لم تكُنْ لي فرصــةٌ فجبَانُ

وقال لعاملٍ له : كُلْ قليلاً تعملْ طويلاً ، الزمِ العفاف يلزمك العملُ ، وإيَّاك والرُّشَا يشتد ظهرُك عند الخصام .

ورفع يوما ثُنْدوتَيه (١) بيديه ، ثم قال : لقد علمَ الناسُ أن الخيلَ لا تجري بمثلي ، فكيف قال النجاشي : (٢)

---

(١) الثندوة : عند الرجل تقابل الثدي عند المرأة . أراد معاوية أن يدل على بدانته وثقل وزنه .

(٢) النجاشي هو قيس بن عمر بن مالك شاعر إسلامي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونجّى ابنَ حربٍ سابحٌ (١) ذو عُلالةٍ (٢)
أجَشُّ (٣) هزيمٌ والرماحُ دَوَانِ

وقال : إني لأكره النَّكَارة (٤) في السيد ، وأحبُّ أن يكونَ غافلاً أو متغافلا (٥) .

وقال لأبي الجَهْم العدَوي : أنا أكبرُ أم أنتَ يا أبا الجهم ؟ فقال : لقد أكلتُ من عُرسِ أُمِّك . فقال : عند أيِّ أزواجِها ؟ قال : في عرسِ حفص بن مغيرة فقال : يا أبَا الجهم ؛ إيَّاك والسلطانَ ، فإنه يغضبُ غضبَ الصبيِّ ، ويعاقب عقوبةَ الأسد ، فإنَّ قلبَه يغلُبَ كثيرَ الناس .

وقال يوماً : أنا أعرِفُ أرخصَ ما في السوق وأغلاهُ ،

---

(١) السابح : الفرس . وتسمى الخيل السوابح ؛ لأنها تسبح في سيرها .

(٢) العلالة : بقية جري الفرس .

(٣) الأجش : الغليظ الصوت ، أو الذي حهد صهيله ، والهزيم من الخيل : الشديد الصوت .

(٤) النكارة : الفطنة والدهاء .

(٥) المتغافل : الذي يظهر الغفلة وليست فيه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقيل : وكيف ذاكَ ؟ فقال : أعلمُ أن الجيِّدَ رخيصٌ والرديء غالٍ .

ولما مات زياد وفد عليه عبيدُ الله ابنُه . فقال لهُ : من استخلفَ أخي على عملِه بالكوفة ؟ قال : عبدَ الله ابنَ خالدٍ أُسَيد (١) قال : فعلى البَصرة ؟ قال : سمرةَ ابنَ جُنْدُب (٢) . فقال له معاوية : لو استعملك أبوكَ استعملتُك ! . فقال له عبيدُ الله : أَنْشُدكَ اللهَ أنْ يقولَها لي أحدٌ بعدَك : لو ولاَّكَ أبُوك ، وعمُّك ولَّيْتُكَ . فولاَّه خُراسانَ .

وأوصاهُ فقال : اتَّقِ اللهَ ولا تُؤْثِرَنَّ على تقواه شيئاً ، وَقِ عرضَكَ (٣) من أن تُدَنِّسَهُ وإذا أعطَيتَ

---

(١) عبد الله بن خالد بن أسيد اختلف في كونه مخزوميا أو أمويا . ولي فارس من قبل معاوية واستخلفه زياد على البصرة .

(٢) سمرة بن جندب بن هلال كان على شرطة زياد ، وكان من الحفاظ المكثرين . مات سنة ٥٨ هـ .

(٣) ق عرضك : احفظه وصنه ، فعل أمر من وقى .ف :فعل أمر من وفى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عهداً فَفِ به ، ولا تَبيعَنَّ كثيراً بقليل ، وخذ لِنَفْسِكَ من نَفْسِكَ ، ولا يخرجَنَّ منك أمرٌ حتى تُبرمَه ، فإذا خرج فلا يُرَدَّنَّ عليك . وإذا لقيتَ عدوَّكَ فغلظ لك على ظهرِ الأرضِ فلا يغلظنَّكَ على بطنها ، وإن احتاجَ أصحابُك أن تُواسيَهم بِنَفْسِكَ فواسِهم ، ولا تُطْمِعَنَّ أحداً في غيرِ حقِّه ولا تُؤيِسَنَّ أحداً من حقٍ هو لَه .

وخطب مرَّة فقال : أيها الناسُ ، إنا قد أَصبَحْنَا في دهرٍ عَنُود ، وزمنٍ شديد ، يصبحُ فيه المحسنُ مُسيئاً ، ويزدادُ الظَّالمُ عُتُوّاً ، لا نَنتفعُ بما عَلِمْنَا ، ولا نسأل عمَّا جهلْنَا ، ولا نَتَخَوَّفُ قارعةً حتى تَحُلَّ بنا ، فالناسُ على أربعةِ أصناف : منهم مَن لا يمنعُه من الفساد إلا مهانَةُ نفسه ، وكلالُ حدِّه ، ونَضِيضُ (١) وفْرِه ومنهم المُصْلِتُ (٢) لسَيْفِه ، المُجلبُ بِرَجْلِه . المُعلِنُ بشَرِّه ، قد أشرطَ نفسَه (٣) ، وأوبق دِينَه (٤)

---

(١) النضيض القليل وهو في الأصل الماء القليل ، والوفر المال المدخر .

(٢) أصلت سيفه : جرده من غمده . وأجلب برجله : جاء برجاله

(٣) أشرط نفسه . أعلمها وأعدها .

(٤) أوبق دينه . أهلكه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لُحطامٍ ينتهزُه ، ومِقْنَبٍ (١) يقوده أو مِنْبَرٍ يَقْرَعُه (٢)، ولبئسَ المتجرُ أنْ تراهما لنفسك ثمنا ، وممّالك عند الله عوضاً . ومنهم من يَطْلُبُ الدنيا بعَمَل الآخرة ، ولا يطلبُ الآخرةَ بعملِ الدُّنيا ، قد طامنَ من شَخْصِه ، وقاربَ من خَطْوِه ، وشمَّر من ثَوبِه ، وزخرف نفسَه للأَمانة ، واتخذ ستر الله ذَرِيعةً إلى المعصية . ومنهم مَن أقعده عن طلب المال نَفْسه ، وانقطاعُ سَبَبِه ، فقصَّر به الحالُ على حالِه ، فتحلَّى باسْمِ القَناعة ، وتزيّن باسم الزّهاد ، وليس من ذلك في مراح ولا مغدى .

وبقي رجالٌ غَضَّ أبصارَهم ذِكرُ المَرْجِعِ ، وأراق دموعَهم خَوفُ المَحْشَر ؛ فهم بين شريدٍ نَادٍّ (٣) وخائفٍ مُنْقمِعٍ (٤) وساكتٍ مَكْعُوم (٥) ، وداعٍ

---

(١) المقنب : جماعة الخيل والفرسان بين الأربعين والخمسين .

(٢) فرع المنبر : علاه .

(٣) النادّ : الشريد النافر .

(٤) المنقمع : الذليل ، وانقمع الرجل : ذل .

(٥) مكعوم من كعمه : سد فمه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مُخلص ومُوجَعِ ثكلانَ ، قد أخملتْهمُ التّقية ، وشملتهم الذِّلّة ؛ فهم في بَحرٍ أُجاج ، أفواهُهُم ضامرة ، وقلوبهم قَرِحة . وَعَظُوا حتى ملُّوا ، وقُهِروا حتى ذلّوا ، وقُتِلوا حتى قَلُّوا ؛ فلتكنِ الدنيا أقلَّ في أعينكم من حُثالة القَرَظِ (١) وقُرَاضَةِ (٢) الجَلَم واتّعِظُوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يَتَّعِظَ . بكم من بعدكم .

قدم رجلٌ من مصر عليه ، فإنه ليحادثُه إذ حَبَقَ (٣) ؛ فانقبض وترك الكلام ، فقال معاوية : خذْ فيما كنتَ فيه . فما سمعتُها من أحد أكثرَ مما سمعتُها من نفسي .

ودخل عليه رجلٌ مرتفعُ العطاء فرأى في عينَيه رَمَصاً (٤) ؛ فحطّ عطاءه وقال : بعجزُ أحدُكم إذا أصبحَ أن يتعهّد أديمَ وجهِهِ .

---

(١) حثالة القرظ : نفايته ، والقرظ : ورق شجر السلم .

(٢) القراضة : ما يتساقط من الثوب عند قصه . والجلم : المقص .

(٣) حبق : ضرط .

(٤) الرمص : قذى العين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال لقريش في خلافته : إني أقمَعُ إذا طرتم ، وأطير إذا وقعتُم ، ولو وافق طيرانِي طيرانكم لاختلفنَا .

وقال : العيال أرَضَةُ (١) المال .

وقيل له : ما بَلَغَ من عقلِك ؟ قال : لم أثقْ بأحدٍ .

ونظر إلى يزيدَ وهو يضربْ غُلاماً له ؛ فقال له : لا تُفسِد أدَبك بتأْديبه ، ولكن وكِّلْ به من يؤدبه .

رُوي عن بعضهم أنه قال : قدم معاوية المدينة ، فدنوتُ من المنبر لأَحفظَ عنه ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ، فإنَّا قدمنا على صديق مستبشر ، وعلى عدو مُستَبْسِر ، وناسٍ بين ذلك ينظرون وينتظرون ؛ فإن أُعطُوا منها رضُوا ، وإن لم يُعطَوا منها سخطوا . ولسنَا نَسعُ الناسَ كلَّهم ، فإن تكن خمدَةٌ فلابدَّ من لائمة ، ليكنْ لوماً هوناً ، إذا ذكر غَفَرَ ، وإيَّاكم

---

(١) الأرضة : دويبة قارضة ، والمراد : تفني المال كما تفني الأرضة ما تقرضه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والعُظْمى التي إن ظهرت أَوْبَقَت ، وإن خَفِيَتْ أَوْتَغَتْ (١) .

وبلغه أنّ ابنته امتنعت على ابن عامرٍ في الافتضاض ، فمشى إليها يَتَوَذَّف (٢) في مِشْيته ، وفي يده مخصرة ، فجلس ، وجعل ينكتُ في الأَرض ويقول :

مِنَ الخِفِرَاتِ البيضِ ؛ أمّا حرامُها
فصعبٌ ، وأما حلُّها فذَلُـــولُ

وخرج ، ودخل ابنُ عامرٍ فلم تمتنع عليه .

وسُئل : ما النُّبل ؟ . فقال : الحلمُ عند الغضبِ ، والعفوُ عند المقدرة .

وقال : الدنيا بحذافيرِهَا (٣) الخفضُ والدَّعَةُ .

وقال له رجل : والله لقد بايعتُك وأنا كارِهٌ . فقال : قد جعَل اللهُ في الكره خيرا كثيرا .

---

(١) أوتغت : أهلكت . وأوبقت : أهلكت .

(٢) يتوذف : يسرع الخطا ويقاربها .

(٣) حذافيرها : جمع حذفور وهو الجانب والمراد : كل ما تشتمل عليه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان يَأْذَنُ للأَحنفِ في أوّلِ مَنْ يأْذنُ له ، فأَذن له يوماً ، ثم أذنَ لمحمد بن الأَشعث ، فجاء محمدٌ فجلس بينَ معاويةَ وبين الأَحنفِ ؛ فقال لهُ معاوية : لقد أحسستَ في نفسك ذُلاً ، إني لم آذَن لهُ قبلَكَ ليكون في المجلس دونَك ، وإنّا كما نملِكُ أُمورَكم نملِكُ تَأْديبَكُم ، فأَريدُوا ما يرادُ بكم ؛ فإنه أبقَى لنِعمتِكم ، وأحسنُ لأَدبِكُم .

وقال معاويةُ في النساء : إنهنّ يغلِبنَ الكرام ، ويَغْلِبُهُنَّ اللئَام .

وفخر عنده سُلَيم مولى زيادٍ ، فقال معاويةُ : اسكتْ ، فوالله ما أدركَ صاحبُك شيئاً بسيفهِ إلاّ وقد أدركتُ أكثرَ منه بلساني .

* * *

يَزيدُ بنُ مُعَاوِيةَ وَوَلَدُهُ

كتب إلى أهل المدينة : أما بعدُ ، فـ «(إنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَومٍ حتَّى يُغَيِّرُوا مَا بأَنفُسِهِم وَإِذَا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أرَادَ اللهُ بِقَومٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ ، ومَالهُم مِن دُونِهِ مِن وَالٍ)» (١) وإني والله لقد لَبِسْتُكُم فأَخلَقْتُكُم (٢) ، ورفقْتُ بكُم فأَخرَقْتُكُم (٣) . ثم وضعتُكُم على رأسِي ، ثم على عيني ، ثم على فمِي ، ثم على بطنِي ، وايْمُ اللهِ ابْن وضعتُكم تحت قدمي لأَطَأَنَّكُم وَطأَةً أُقِلُّ بها عَدَدَكم ، وأذِلُّ غابرَكُم ، وأترُكُكُم أحاديثَ تُنْسَخُ فيها أخبارُكم مع أخبارِ عادٍ وثمود .

لعلَّ الحِلمَ دلَّ (٤) عليَّ قومي
وقد يُستَجهلُ الرجلُ الحليمُ (٥)

تكلَّم يوماً عند معاوية الخطباءُ فأَحسنوا وأكثرُوا ؛ فقال : واللهِ لأَرمينَّهم بالخطيبِ الأَشدقِ (٦) ، قُمْ يا يزيد فتكلَّم .

---

(١) سورة الرعد : ١١ .
(٢) أخلقتكم : أبليتكم .
(٣) أخرقتكم : سببت لكم الخرق وهو الحمق .
(٤) دل : جرأ ، من الدلال .
(٥) البيت لقيس بن زهير العبسى .
(٦) الأشدق : الواسع الشدقين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذكر أنَّ الحجاجَ لما أكرهَ عبدَ الله بنَ جعفرٍ على أن يزوِّجَه ابنتَه (١) استآجله في نَقْلِها سنة ، ففكر عبدُ الله في الانفكاكِ منه ، فألقي في رُوعِه خالدُ بنُ يزيد ابنِ معاويةَ ، فكتب إليه يُعْلِمه ذلك . وكان الحجاجُ تزوجَها بإذْنِ عبدِ الملك ، فوردَ على خالد كتابُه ليلاً ، فاستأذن من ساعتِه على عبد الملك ، فقيل : أفي هذا الوقت ؟ فقال : إنه أمرٌ لا يؤخَّر ، فأعلم عبدُ الملك بذلك . فأذنَ لهُ ، فلما دخل إليه قال عبدالملك : فيمَ السُّرى (٢) يا أباهاشم ؟ قال : أمرٌ جليلٌ ، لم آمنْ أن أؤخِّره ، فتحدثَ عليَّ حادثةٌ ، فلا أكونَ قضيتُ حقَّ بَيعتك . قال : ما هو ؟ قال : تعلمُ أنَّه كان بين حيَّين من العداوةِ والبغضاءِ ، ما كان بينَ آلِ الزبير وبيننا ؟ قال : لا . قال : فإنَّ تزوُّجي إلى آل (٣) الزبير حلَّلَ لهم ما كان

---

(١) هي أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر ، وأمها زينب بنت علي ابن أبي طالب .

(٢) السرى : السير ليلا .

(٣) تزوج خالد بن يزيد رملة بنت الزبير بن العوام وله فيها شعر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في قلبي ، فما أهلُ بيتٍ أحبُّ إليَّ منهم . قال : إن ذلك ليكونُ ؟ قال : فكيف أذنتَ للحجاج أن يتزوجَ من بني هاشم ، وأنت تعلمُ ما يقولون ويقالُ فيهم ، والحجاجُ من سلطانِك بحيثُ علمتَ . قال : فجزاهُ خيراً . وكتب إلى الحجاج يعزمُ عليه أن يُطلّقَها . فطلّقَها . فغدا الناس يُعزّونه عنها .

وكان فيمن أتاه عمرو بن عُتْبةَ بن أبي سفيان (١) ، فأوقعَ الحجاجُ بخالدٍ . فقال : كان الأمرُ لآبائه فعجز عنه حتى انتُزع منهُ . فقال له عمرو : لا تقُل ذلك أيها الأميرُ ؛ فإن لخالدٍ قديماً سبَق إليه ، وحديثاً لن يُغْلبَ عليه ، فلو طلَبَ الأمرَ لطلبهُ بمجدٍ وجَدٍّ ، ولكنْ علم علماً فسلمَ العلم إلى أهلِه . فقال الحجاجُ : يا آل أبي سفيان ؛ أنتم تحبّون أن تحلُموا ، ولا يكون الحلمُ إلا عن غضَب ، فنحن نغضبُكم في العاجل ابتغاءَ مرضاتِكم في الآجل .

---

(١) عمرو بن عتبة بن أبي سفيان ابن عم خالد بن يزيد ، قتل مع ابن الأشعث .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم قال الحجاج : والله لأتزوجنّ من هو أمس به رحماً ، ثم لا يمكنه فيه شيء : فتزوج أمّ الخلاس بنتَ عبدِ اللهِ بنِ خالدِ بنِ أسيد .

تهدّد عبد الملك خالداً بالحِرْمان ، فقال خالد : أتهدّدُني ، ويَدُ الله فوقك مانعةٌ ، وعطاءُ اللهِ دونَك مبذولٌ ؟ .

قال رجل لخالد بن يزيد بن معاويه : ما أقربُ شيءٍ ؟ قال : الأجل . قيل : فما أبعدُ شيءٍ ؟ قال : الأمل . قيل : فما آنسُ شيءٍ ؟ قال : الصاحب المُواتي (١) . قيل : فما أوحشُ شيء ؟ قال : المَيِّت .

دخل عبدُ الملك بن مروان على يزيد بن معاوية . فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إن لك أرضاً بوادي القُرى (٢) ليست لها غلّة ، فإن رأيتَ أن تأمرَ لي بها فقال له يزيد : إنا لا نُخدع عن الصغير ، ولا نبخلُ بالكبير ، وهي لكَ .

---

(١) الصاحب المواتي . الموافق .

(٢) وادي القرى : وهو واد بين المدينه والشام ، من أعمال المدينة سمي كذلك لكثرة القرى فيه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلما ولّى قال يزيد: إن أهل الكتب يدّعون أنّ هذا يورث ما نحن فيه ، فإن كان كما قالوا فقد صانعناه ، وإن لم يكن فقد وصانعناه .

قال معاوية ليزيد : إنْ كنْت بعدي — وكنْهُ فابدأ بالخير ، فإنه يُعَفّي (١) على الشر ، وما صنعت من شيءٍ فاجعل بينك وبين الله ستْراً ترجوه له ، وتأْملُهُ به . وإيّاك والقتل فإن الله قاتلُ القاتلين .

وصف معاويةُ الوليد بن عُتْبة (٢) فقال : إنه لبعيدُ الغَور ، ساكن الفَور (٣) ، نبتةُ أصلٍ لا يخلف ، وسليل فحل لا يُقرِف (٤) .

ودخل خالد بن يزيد دار عبد الملكِ ، وكان يسحبُ

---

(١) يعفي على الشر : يزيله ويفنيه .

(٢) الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ابن أخي معاوية ، اشتهر بالفصاحة والحلم والكرم .

(٣) الفور : مصدر فار والمراد قليل الغضب .

(٤) أقرف الفرس : صار هجينا وأقرف الرجل إذا كان أحد أبويه غير عربي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثيابه ، فقام إليه عبدُ الرحمن بن الضحاك (١) يتلقّاه معظّماً له ؛ فقال له : بأبي أنت وأمي ، لم تُطعم الأرضَ فضول ثيابك ؟ فقال : إني أكره أنْ أكون كما قال الشاعر :

قصيرُ الثياب فاحشٌ عند بيته
وشرُّ قريشٍ في قريشٍ مُركّبَا (١)

وهذا البيت هُجي به الضحّاكُ . قال الجاحظ : لو لم يتكلفْ مالا يعنيه لم يسمع هذا الجواب .

قال بعضهم : كنتُ عند معاويةَ إذ دخل عبدُ الملك ، فتحدث ونهض ، فقال معاوية : إنّ لهذا الغلام همةً ، وخليقُ أن تبلغَ به همّتُه ، وإنه مع ما ذكرتُ تاركٌ لثلاث آخذٌ بثلاث : تاركٌ مساءة الجليسِ جِدّاً وهَزْلاً ، تاركٌ لما يعتذرُ منه ، تاركٌ لما لا يَعنيه ؛ آخذٌ بأحسنِ الحديث إذا حَدّثَ ، وبأحسنِ الاستماع إذا حُدّث ، وبأهون الأمرَين عليه إذا خولف .

---

(٥) عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس ، قتل أبوه في موقعة مرج راهط ، واستعمله يزيد بن عبد الملك والياً على المدينة .

(١) المركب : الطبع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال لعُبيد الله بن زياد : يا بن أخي ؛ احفظ عني ، لا يكوننَّ في عسكرك أميرٌ غيرُك . ولا تقولنَّ على منبر قولاً يخالفُه فعلُك . ومهما غابت فلا تُغلبنَّ على ميتةٍ كريمة .

وقال معاوية : آفةُ المروءةِ الكبرُ وإخوانُ السوء . وآفةُ العلم النِّسيانُ . وآفةُ الحلم الذل . وآفة الجود السَّرَف . وآفةُ القَصْدِ البخلُ ، وآفةُ المنطقِ الفحشُ . وآفةُ الجلَد الكسلُ ، وآفةُ الرزانة الكِبْرُ . وآفةُ الصَّمْتِ العيُّ ، وآفة اللبّ العُجب . وآفة الظَّرف الصلفُ ، وآفة الحياءِ الضَّعف .

وقال : لاجِدَّ إلا ما أقْعَصَ عنكَ ما تكره (١) .

وقال : لا تَعِدَنَّ شيئاً ، وحسبُك جوداً أن تُعطيَ إذا سُئِلْتَ .

وقال لابنه يزيد : ما المروءة ؟ فقال : إذا ابتليتَ صبرتَ ، وإذا أُعطيتَ شكرتَ ، وإذا وَعَدْتَ أنجزْتَ .

---

(١) الجد : الحظ . أقعص الرجل : قتله قتلا سريعاً .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال : أنتَ مني ، وأنا منك يا يزيد .

وقال معاويةُ : المروءة مؤاخاةُ الأكْفاءِ ومُداجاةُ (١) الأعداء .

وقال : ما وجدتُ لَذَّةَ شيءٍ ألذَّ عندي غِبّاً (٢) من غيظٍ أتجرّعُهُ ، ومن سَفَهٍ بالحِلْمِ أقْمَعُهُ .

وأغلظَ له رجلٌ فاحتملَه ، وأفرطَ عليه فحلم عنه ؛ فقيل له في ذلك . فقال : لا نَحُولُ بينَ الناسِ وألسنتِهم مالم يحولوا بيننا وبين ماكنا .

وقال لابنه : يا بُني ، اتّخذِ المعروفَ عند ذوي الأحْسابِ تَستَمِلْ به قلوبَهم ، وتعظُم به في أعيُنِهم ، وتكفَّ به عنك عاديتهم .

* * *

(١) المداجاة : المداراة ، وعدم إظهار العداوة

(٢) الغب : العاقبة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثاني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلام مروان بن الحكم (١) وولده في الخلفاء

كتب مروان إلى النُّعمان (١) بن بشيرٍ يخطبُ إليه ابنتَه أُمَّ أبانٍ لابنه عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من مروانَ بنِ الحكَمِ إلى النُّعمان بنِ بشيرٍ . سلامٌ عليكَ ، فإنّي أحْمَدُ إليكَ اللهَ الذي لا إله إلا هُو .

أما بعدُ ؛ فإن اللهَ ذا المنِّ والبرهانِ ، والعَظَمَةِ والسُّلطان ؛ قد خصَّكُم — معاشرَ الأنصارِ — بنُصْرةِ

---

(١) مراوان بن الحكم ولد سنة ٢ هـ استكتبه عثمان بن عفان وولاه معاوية المدينة ومكة والطائف ، تولى الخلافة واستمر بها أشهراً ، ومات سنة ٦٥ هـ .

(٢) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري ، ولد قبل وفاة الرسول بثمان سنين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دينه ، ولإعزاز نبيِّه محمد — صلى الله عليه وسلم — وقد جعلكَ منهم في البيتِ العميمِ ، والفرعِ القديم وقد دعاني إلى إحباب مُصاهرتِك والإيثارِ لك على الأكْفاءِ من ولد أبي . وقد أحببتُ أن تُزوِّجَ ابني عبدَ الملك بنَ مروان ابنتَك أمَّ أبانٍ بنتَ النعمان ، وقد جعلت صَداقَها ما نَطَقَ به لسانُكَ وترنَّمَتْ به شَفَتَاكَ ، وبلغه مُناك . وحَكَمْتَ بِهِ في بيتِ المالِ قِبَلَكَ .

وقال مروانُ لابنه : آثِرِ الحقَّ ، وحَصِّنْ مملكَتَك بالعدل ، فإنَّه سورُها المنيعُ الذي لا يُغرقُهُ ماءٌ ، ولا تحرقُه نارٌ . ولا يهدِمُهُ مَنْجَنِيقٌ (١).

وذكر أبو هريرة معاويةَ في مجلس فيه مَروانُ فاغتابَه ، ثم خاف أن يبلُغَ معاويةَ ذلك ؛ فقال : إنَّ رسول الله صلى الله عليه قال : « المَجالِسُ بالأَمانَةِ » ، وسأل مروانَ أن يكتُمُ عليه .

---

(١) المنجنيق : آله ترمى بها الحجارة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال مَروانُ : واللهِ . لَمَا ركبتَ منّي في ظنِّكَ بي أني أنقُلُ حديثَك أعظمُ مِمَّا رَكِبتَ من معاوية .

عَبْدُ المَلِكِ بنُ مَرْوَانَ

خطب فقال : أيُّها الناسُ ، اعملُوا لله رغبةً أو رهبةً ، فإنكم بناتُ نعمته ، وحَصيدُ نِقْمَتِه ، ولا تَغرسُ لكم الآمالُ ما تَجتَنيه الآجالُ . وأقِلُّوا الرغْبةَ فيما يورِثُ العطَب ، فكلُّ ما تزرَعُهُ العاجلةُ تقلعُهُ الآجلةُ . واحذَرُوا الجديدَين ؛ فهما يَكرَّان عليكم باقْتِسام النُّفوسِ ، وَهَدْمِ ، المأسوسِ . كفانا اللهُ وإياكم سَطْوةَ القَدَرِ ، وأعاننا بطاعتِه عن الحذَرِ من شرِّ الزَّمَن ، ومُعضِلاتِ الفِتَن .

استأذن رجلٌ عليه ، فأذِنَ له ، فوقفَ بين يديه وَوَعَظَهُ ؛ فقال عبدُ المَلِكِ لرجلٍ : قُلْ للحاجب ، إذا جاء هذا فلا تَمْنَعْهُ ، وإنما أراد أن يَعْرِفَهُ الحاجبُ فلا يأذنَ له .

وقال : إني لأعرِفُ عزَّةَ الرجلِ من ذلته بجلسته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال له ابنهُ الوليد : ما السياسةُ ؟ قال : هيبةُ الخاصةِ مع صدقِ مودّتها ، واقتيادُ قلوب العامةِ بالإنصاف لها ، واحتمالُ هفَوات الصنائع .

ودخل الشّعبيُّ عليه ، فخطّأه في مجلس واحد في ثلاثٍ ، سَمِع الشعبيُّ منه حديثاً ؛ فقال : أكْتِبنيه . فقال : نحن معاشرَ الخلفاء لا نُكْتِبُ أحداً شيئاً . وذكر رجلا فكَنّاه فقال : نحن معاشرَ الخلفاء لا يُكَنّى الرجالُ في مجالسنا ، ودخل إليه الأخطل ، فدعا له بكرسي . فقال : مَن هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : الخلفاء لا تُسأل ، فأخجله في أول مقام .

وقال لأخيه عبد العزيز (١) حين وجّهه إلى مصر : تَفَقّد كاتبَك وحاجبَك وجليسَك ؛ فإنّ الغائبَ يخبره عنكَ كاتبُك ، والمتَوسِّمَ (٢) يعرِفُك بحاجِبك والخارجَ من عندك يعرفك بجليسك .

---

(١) عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، والد عمر بن عبد العزيز ، ولد في المدينة ، وولاه مروان مصر ، فكانت إقامته بحلوان . توفي سنة ٨٥ هـ .

(٢) المتوسم : المتفرس المتخيل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال : أفضلُ الرجالِ مَنْ تواضعَ عن رفعة ، وزهد عن قُدرةٍ ، وأنصف عن قوة .

وقال : الهَدِيَّةُ السِّحْرُ الظَّاهِرُ .

وقال لِمُعَلِّمِ ولدهِ :رَوِّ بَنِيَّ الشِّعْرَ يعرفُوا بهِ مكارِمَ الأَخلاق ، ولا تروِّهم شعرَ هُذَيْلٍ (١) فتزيِّنَ لهم الفِرار ، ولا شِعْرَ أُحَيْحَةَ بنِ الجُلاحَ (٢) فتحسِّنَ لهم البُخْلَ ؛ وأطعمهمُ اللحمَ تشتدُّ قُلُوبُهم ، وجُزَّ أشعارَهم تَغْلُظْ رقابُهم .

وقال : اطلبوا معيشةً لا يقدرُ سلطانٌ جائرٍ على غَصْبها . فقيل : وما هو ؟ قال : الأدب .

دخل إليه أعرابيٌّ فبرك بين يديه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن الناقة إذا مَنَعَتِ الحلْبَ قوَّمَتْها العَصا ؛ فقال عبد الملك : إذاً تكفيء الإناء ، وتكسرُ أنف الحالِب .

---

(١) هذيل الأشجعي شاعر أموي ، عمي في أواخر أيامه .

(٢) أحيحة بن الجلاح بن الحريش : شاعر جاهلي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال لزُفر بن الحارث (١) : ما ظنُّك بي ؟ قال : ظني بك أنك تقتلني ؛ فقال : قد أكذَب اللهُ ظنَّك ، وقد عفوتُ عنك .

ونازعه عبدُ الرحمن بنُ خالدِ بن الوليدِ (٢) ، فأرْبَى عليه ، فقيل له : لو شكوتَه إلى عمِّه لا نتقم لك منه ؛ فقال : مِثْلي لا يشكُو ، ولا أعدُّ — أنَا — انتقام غيري لي انتقاماً ؛ فلما استخلف قيل له في ذلك ؛ فقال : حِقْدُ السُّلْطان عجز .

قال عمرو بن عبيد (٣) : كتب عبدُ الملك وصيةً بيده ، وأمر الناس بتدبُّر ما فيها وهي :

---

(١) كان زفر بن الحارث الكلابي قد خرج على عبد الملك ، مع الضحاك بن قيس ، ولما قتل الضحاك في مرج راهط تحصن زفر بقرقيسيا على نهر الفرات إلى أن مات سنة ٧٥ هـ .

(٢) عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي ، قائد شديد البأس من التابعين ، شهد صفين مع معاوية ، كما شهد فتوح الشام ومات سنة ٤٦ هـ

(٣) عمرو بن عبيد ، شيخ المعتزلة ، كان أبوه شرطياً للحجاج وهو فارسي الأصل . ولد سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٤٢ هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن الله جعل لعباده عُقولاً عاقبهم بها على معصيته ، وأثابهم على طاعته ؛ فالناسُ بين مُحسنٍ بنعمة الله عليه ، ومُسيء بخذلان الله إيّاه ، ولله النعمة على المحسن والحجةُ على المسيء ، فما أولى بمن تَمَّت عليه النعمةُ في نفسه ، ورأى العِبْرَة في غيره ، بأنْ يضع الدنيا حيثُ وضعها الله ، فيعطي ما عليه منها ولا يكترثُ بما ليس لهُ فيها ، فإنَّ الدنيا دارُ فناءٍ ولا سبيل إلى بقائها . ولابد من لقاء الله ، فأحذِّركم الله الذي حذَّركم نفسَه ، وأوصيكم بتعجيل ما أخَّرته العَجزَةُ قبل أن تصيرُوا إلى الدار التي صارُوا إليها ، فلا تقدرون فيها على توبةٍ . وليست لكُم منها أوْبَةٌ ، وأنا استخلفُ الله عليكم ، وأستخلفه منكُم .

وأذن بوماً لخاصَّته ، فأخَذوُا مجالسهم ، وأقبل رجلٌ منهم على عَيب مُصعب بعد قتله ؛ فنظر إليه عبدُ الملك نَظر كراهية ، لِما قال ، ثم قال : أمسِكْ . أما علِمتَ أنَّ مَنْ صَغَّر مقتولاً فقد أزرى بقاتله .

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوَليدُ بنُ عبدِ المَلِكِ (١)

جاء إليه رجلٌ فقال : إنّ فلاناً نالَ منكَ . قال : أتريدُ أن تَقْتَصّ أوتَارك مِن الناس بي ؟ .

وهرب من الطاعون ، فقال له رجل : يا أميرَ المؤمنين إن الله تعالَى يقول : «(لَن يَنفعكُمُ الْفِرارُ إن فررتُم مِن الْموتِ أوِ القَتْلِ وإذاً لاّ تُمَتّعُونَ إلاّ قليلاً)» (٢) فقال الوليد : إنما نُريدُ ذلك القليل .

وقال له رجلٌ : إن فلاناً شَتَمَك ، فأكبّ ، ثم قال : أراهُ شتَمك .

وكان الوليدُ لَحّاناً ، فدخل عليه يوماً رجلٌ من العربِ ، فقال له الوليدُ : ما شانَك ؟ قال : أودٌ (٣) في أنْفِي واعوجاجٌ . فقال له رجلٌ من أصحابه : إنّ أميرَ المؤمنينَ يقولُ لك : ما شأنُك ؟ فقال : كذا وكذا .

---

(١) ولد الوليد بن عبد الملك سنة ٤٨ هـ ، وتولى الخلافة بعد وفاة أبيه ، وافتتح في عهده الهند والترك والأندلس وهو بانى الجامع الأموي بدمشق . توفي سنة ٩٦ هـ .

(٢) سورة الأحزاب ، ١٦ .

(٣) الأود : العوج .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولما مات عبدُ الملكِ صعدَ الوليدُ المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : لم أر مثلَها مُصيبة ولم أر مثله ثواباً : موتُ أمير المؤمنين ، والخلافةُ ؛ فإنَّا لله وإنا إليه راجعون على المصيبةِ ، والحمدُ لله رب العالمين على النعمةِ انهضُوا فبايعُوا على بركة الله .

مات لعبدِ الملك ابنٌ ، فجاء الوليدُ فعزَّاه ؛ فقال : يا بني ؛ مُصيبتي فيك أعظمُ من مصيبتي بأخيك ، متى رأيتَ ابناً عزَّى أباه ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ أمي أمرتني بذلك . قال : هو من مشورة النساء .

وروي أنَّ الوليد قام على المنبر بعد موت عبد الملك ؛ فقال :

يالها مصيبةً ما أفجعها وأعظمها ، وأشدها وأوجعها وأغمها موتُ أمير المؤمنين ! ويالها نعمةً ما أعظم المنَّة من الله تعالى عليَّ فيها ، وأوجب للشكر له بها ، خلافتُه التي سربلتُها (١) .

فكان أولَ من عزَّى نفسه وهنأها بالخلافة .

---

(١) سربلتها : ألبستها كالسربال . وفي الكلام استعارة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأقبل غيلان بنُ مَسْلَمَةَ الثَّقَفِي (١) ؛ فسلم عليه بالخلافة ، ثم قال : أصبحت يا أمير المؤمنين ورِثتَ خير الآباءِ ، وسُمِّيت خيرَ الأسماء ، وأُعطيت أفضلَ الأشياء ، فعزمَ اللهُ لك على الرَّزيّةِ بالصبرِ ، وأعطاك في ذلك نوافلَ الأجرِ ، وأعانك في حسن ثوابه على الشكر ، ثم قضى لعبدِ الملك بخير القَضيَّةِ ، وأنزله المنازلَ الرضيَّة.

فأعجبهُ كلامُه وقال : أثقفيٌّ أنت ؟ قال : نعم وأحدُ بني مُعتب . فسأله : كم هو من العطاء ؟ فقال : في مائة دينار . فألحقه بشرفِ العطاء ، فكان أول من أُلحق بشرف العطاء .

* * *

سُلَيْمَانُ بنُ عبدِ المَلِك (٢)

تكلَّم وفدٌ بين يدي سليمان فأخطؤوا ، وتكلَّم بعدهم

---

(١) غيلان بن مسلمة الثقفي شاعر جاهلي أدرك الإسلام وتوفي سنة ٢٣ هـ .

(٢) سليمان بن عبد الملك ، الخليفة التالي بعد الوليد ، ولد بدمشق سنة ٥٤ هـ ، وولي الخلافة سنة ٩٦هـ . فتح في عهده جرجان وطبرستان ، وتوفي سنة ٩٩ هـ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رجلٌ فأبلغ ، فقال سليمان : كأن كلامَه بعد كلامكم سحابةٌ لبّدت عجاجة (١) .

وقال : عجبتُ لهذه الأعاجم ، ملكتْ طول الدهر ، فلم تحتج إلى العرب ، وملكت العربُ فلم تستغن عنهم .

وتغدّى سليمانُ بن عبد الملك عند يزيدَ بن المُهلَّب (٢) ، فقيل له : صِف لنا أحسن ما كان في منزله . قال : رأيتُ غلمانه يخدمونه بالإشارة دون القول .

وقال : قد أكلنا الطيّب ، ولبسنا اللّيّن ، وركبنا وامتطينا الفارِه العذراء ، فلم يبق من لذّتي إلا صديقٌ أطرحُ بيني وبينه مؤُونة التّحفّظ .

سمع سليمانُ رجلاً من الأعراب في سنةٍ جَدْبةٍ يقول:

ربَّ العبادِ مالنَا ومالَكَا ؟

قد كنت تَسقينَا فما بدا لكا

أنزل علَينا الغيث ، لا أبَا لكا (٣)

---

(١) العجاجة : ما ثار من الغبار .

(٢) يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، قائد شجاع ولد سنة ٥٣ هـ .

(٣) إن لا أبالك تذكر عند المدح ، أي لا مثال لأبيك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال سليمان : أشهد أنه لاأبا لَه ، ولا ولد له ولا صاحب . قال المُبَرِّد : فأخرجَهُ أحسنَ مُخْرَج .

قال سليمان ليزيد بن المهلَّب : ثلاثٌ أنكرُهُنَّ منكَ ؛ خُفُّك أبيضُ مثلُ ثوبِك ، ولا يكونُ خفُّ الرجلِ مثل ثوبه ؛ وطيبُك ظاهر ، وطيبُ الرجلِ يُشَمُّ ، ولا يُرى أثرُه ؛ وتكثرُ منْ مَسِّ لِحْيتك . قال : فغيّر خُفَّه وطِيبه .

وقال : مارأيتُ عاقلاً يَهُمُّ بأمرٍ إلاّ كان مُعَوِّلُه على لحيته .

وخطب فقال : الحمد لله الذي ما شاء صنع ، ومن شاء رفع ، ومن شاء وضع ، ومن شاء أعطَى ، ومن شاء منع . إن الدنيا دارُ غرورٍ ، ومنزلُ باطلٍ وزينةٍ ، تَقَلَّبُ بأَهلِها ، تُضْحِكُ باكياً ، وتُبكي ضاحكاً ، وتُخيفُ آمِناً ، وتُؤمِّن خائفاً ، تُفْقِر مُثْرِيَها ، وتُقرِّبُ مُقْصِيَها ، ميّالةٌ لاعبةٌ بأهلِها . عبادَ اللهِ ؛ اتخذُوا كتاب اللهِ إماماً ، وارضوا به حَكَماً ، واجعلوه لكم قائداً ؛ فانه ناسخٌ لِما كان قبلَه ، ولن ينسخه كتابٌ بعده . اعلموا — عبادَ الله — أنّ هذا القرآن يجلُو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كيد الشيطان وضغائنه (١) ، كما يجلو ضوءُ الصبح إذا تنفّس أدبَار الليل إذا عسعس (٢) .

* * *

يَزِيدُ بنُ عبد المَلِك (٣)

كتب إليه عبدُ الرحمن بن الضَّحاك بن قيس يستأذنُه في غلام يهديه إليه ، فكتب إليه يزيدُ : إن كنتَ لابد فاعلاً فليكن جميلاً ظريفاً لبيباً أديباً كاتباً ، فقيهاً حُلواً ، عاقلاً أميناً سَرِيّاً ، يقولُ فيحسن ، ويحضُر فيَزيّن ، ويغيب فيُؤْمنُ .

فكتب إليه : قد التمستُ صِفَةَ أمير المؤمنينَ ، فلم أجدها إلا في القاسمِ بن محمد ، وقد أبى أهلُه بَيعهُ .

* * *

---

(١) الضغائن : الأحقاد .

(٢) عسعس : يقال : عسعس الليل : إذا أقبل ظلامه أو أدبر .

(٣) يزيد بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٧١ هـ ، وتولى الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠٤ هـ وتوفي سنة ١٠٥ هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هِشَامُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ (١)

ذكَرَ خالدُ بن صفوان(٢) خالدَ بن عبد اللّه القسري عند هشام ، فقال هشَام : إن خالداً أدَلَّ فأملَّ(٣) ، وأوجفَ فأعجفَ(٤) ، ولم يترك لأوْبةٍ مَرْجعا ، ولا للصلح مَوْضِعاً ، وإني لكما قال الشاعر(٥) :

إذا انصرفَتْ نفسي عن الشيء لم تكَدْ
إليه بوجهِ آخِرَ الدَّهـــرِ تُقبلُ

نهض هشام عن مجلسه مرةً ، فسقط رِداؤه عن منكبه ، فتناوله بعضُ جلسائه ؛ ليرده إلى موضعه ، فجذبه هشامٌ من يده ، وقال : مهلاً ، إنا لا نَتخذُ جُلساءنا خَوَلاً(٦) .

---

(١) هشام بن عبد الملك بن مروان ولد سنة ٣١ هـ ، وتولى الخلافة سنة ١٠٥ هـ ، بنى الرصافة وكان يسكنها صيفاً ، وتوفي سنة ١٢٥ هـ .

(٢) خالد بن صفوان بن عبد الله المنقري ، من فصحاء العرب .

(٣) أدل بالمحبة فأفرط ، وأدل فأمل مثل يضرب لذلك .

(٤) أوجف الدابة : حثها ، وأعجفها : أهزلها .

(٥) قائل البيت معن بن أوس المزني .

(٦) الخول : العبيد والإماء والحاشية ونحوها . يستوى في لفظه المؤنث والمذكر والمفرد والجمع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عُدّتْ لهشام – مع دهائه – سقطتان إحداهما : أن الحاديَ حدا به ؛ فقال :

إنَّ عليكَ أيهـــا البُخْتيُّ(١)
أكرمَ منْ تمشي بـــه المَطِيُّ

فقال هشام : صدق .

والأخرى : أنه ذُكر عنده سليمانُ بن عبد الملك ؛ فقال : واللّه لأشكونّه يوم القيامة إلى أمير المؤمنينَ عبدِ الملك .

وقال له مَسْلَمةُ أخوه : كيف تطمعُ في الخلافة وأنتَ بَخيلٌ . وأنتَ جبانٌ ؟ قال لأنّي حليمٌ وأني عفيف .

* * *

الوليدُ بنُ يَزيدَ (٢)

أُتي هشام بعُودٍ ؛ فقال للوليد : ما هذا ؟ قال : خشب يُشقّق ثم يرقّق ، ثم يُلْصَقُ ثم تعلّقُ عليه

(١) الجمال البختية : الخراسانية ، والبختي صفة للجمل منها .

(٢) الوليد بن يزيد بن عبد الملك ولد سنة ٨٤ هـ وولي الخلافة سنة ١٢٥ هـ.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوتارٌ فينطق فتضرب الكرامُ رؤوسَها بالحيطانِ سروراً به . وما في المجلس أحدٌ إلا وهو يعلمُ منهُ ما أعلمهُ ، وأنت أولهُم يا أمير المؤمنين . .

وقد قيل : إنَّ هذا الكلامَ هو للوليد بن مَسْعَدة الفَزَاري مع عبد الملك بن مروان .

وحكى بعضُهم قال : رأيتُ هشام بنَ عبد الملك يوم تُوفي مَسْلمةُ بن عبد الملك إذ طلعَ الوليد وهو نَشوانُ يجرُ مطْرَفَ خَزٍّ ، فوقف على هشام ، فقال :

يا أميرَ المؤمنين ؛ إنَّ عُقبىَ من بقي لحوقٌ بمن مضَى ، وقد أفقرَ بعدَ مسلمةَ الصَّيدُ(١) لمنْ رمى ، واختل الثغرُ(٢) فوهى ، وعلى إثر من سلفَ يمضي من خَلَف ؛ فتزودُوا ، فإن خيرَ الزَّادِ التَّقوَى . قال : فأعرض هشامٌ ولم يحر جواباً ووجم الناس .

---

(١) أفقر الصيد : أمكن الصيد من فقاره لراميه والمعنى أن مسلمة كان يغزو العدو ويرده ، فحين مات اختل بلد الاسلام وأمكن لمن يتعرض إليه .

(٢) الثغر : الحد مع العدو .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقيل : كان عمرُ بنُ الخطاب — رضي الله عنه — يأخذ بيده اليمنى أُذنهُ اليسرى(١) ثم يجمع جراميزَه(٢) ويثبُ ؛ فكأنما خُلِقَ على ظَهْرِ فرسِه ، فكان الوليدُ ابنُ يزيد يفعلُ مثل ذلك ، وفَعلَهُ مرةً وهو ولي عهدِه ، ثم أقبل على مسلمة بن هشام(٣) : فقال له : أبوكَ يُحسنُ مثل هذا ؟ فقال مسلمةُ : لأبي مائةُ عبد يحسنُونَ هذا . فقال الناس : لم ينصفْه في الجواب .

* * *

يَزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عَبْدِ المَلِكِ (٤)

لما قُتل الوليدُ بنُ يزيدَ قام يزيدُ خطيباً ؛ فحمد اللّه ، وأثنى عليه ، ثم قال :

أيُّها الناس ؛ واللّه ما خرَجتُ أشَرّاً ولا بَطَراً ،

---

(١) المراد « بأذنه اليسرى » أذن الفرس .

(٢) جراميزه : مجموع بدنه .

(٣) مسلمة بن هشام بن عبد الملك من القواد ، مات في خلافة أبيه .

(٤) يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، الملقب بالناقص ، ولد سنة ٨٦ هـ ، وثار على ابن عمه الوليد بن يزيد وقتله ، وتولى الخلافة سنة ١٢٦ هـ ولم يمكث بها غير خمسة أشهر ، وتوفي في السنة نفسها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبةً في الملكِ ، وما بي إطراءُ نفسي ، وإني لظلومٌ لنفسي إن لم يرحمني ربّي ؛ ولكني خرجتُ غضَباً للّه ولدينه ، وداعياً إلى اللّهِ ، وإلى سُنةِ نبيه ، لما هُدِمَت معالمُ الهُدى ، وأُطْفِئَ نورُ أهلِ التقوى ، وظهر الجبارُ العنيد ، المستحلُّ لكلِّ حرمةٍ ، والراكبُ لكلِّ بِدعةٍ ، مع أنه واللّهِ ما كانَ يؤمنُ بيوم الحساب ؛ وإنه لابنُ عَمي في النسب ، وكُفْئي في الحسب .

فلما رأيت ذلك استخرتُ اللّه في أمري ، وسألتُه ألا يكِلَني إلى نفسي ، ودعوتُ إلى ذلك منْ أجابني من أهلِ ولايتي ، حتى أراحَ اللّهُ منه العبادَ ، وطهَّرَ منه البِلادَ بحولِ اللّهِ وقوتهِ ، لا بحولي وقوتي .

أيها الناس ؛ إن لكم عليَّ ألا أضَعَ حجراً على حجر ، ولا لبنةً على لَبِنة . ولا أكْري(١) نهرا ، ولا أكنِزَ مالاً ، ولا أُعطيَه زوجةً ولا ولدا ، ولا أنقلَ مالاً من بلد إلى بلد ، حتى أسُدَّ فقْرَ ذلكَ البلدِ وخَصَاصةَ

(٢) كرى النهر، يكريه ويكروه : حفره .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أهلِه(١) ، بما يُغنيهم . فإنْ فضلَ نقلته إلى البلدِ الذي يليهِ ممن هوَ أحوجُ إليه منه ، ولا أُجمِّركم(٢) في بعوثِكم فأفتنكُم ، وأفتنَ أهليكم ، ولا أغلقَ بابي دونكم فيأكل قويُّكُم ضعيفَكم ، ولا أحملَ على أهل جِزْيتكم ما أُجليهم به من بلادِهم ، وأقطعَ نَسلَهم ، ولكنَّ عندي أعطياتِكم في كل سنةٍ ، وأرزاقِكُم في كل شهرٍ ، حتى تستدرَّ(٣) المعيشةُ بين المسلمينَ ، فيكونَ أقصاهم كأدناهم .

فإنْ أنَا وفيتُ لكم فعليكُمُ السمعُ والطاعةُ ، وحسنُ المؤازرةِ والمكانَفَةِ(٤) ، وإنْ أنَا لم أوفِ لكم فلكم أن تخلعوني إلا أن تستتيبُوني ؛ فإن تُبْتُ قبلتُم مني .

وإن عرفْتُم أحداً يقومُ مقامي مسَّن يُعرفُ بالصلاح ، يعطيكُم من نفسه مثلَ ما أعطيتُكُم ، فأردتُم أن تبايعُوه ، فأنا أولُ من بَايعهُ ، ودخَل في طاعته .

* * *

(١) الخصاصة . وكذلك الخصاص ، الفقر وسوء الحال والحاجة .

(٢) جمر الجند حبسهم في الثغور عند أرض العدو .

(٣) استدر . كثر .

(٤) المكانفة . المعاونة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مَسْلَمَةُ (١)

قال : عجبتُ لمن أحفى شعرَهُ(٢) ثم أعفاه ، وقصَّرَ شاربَه ثم أطاله ، أو كان صاحبَ سَرارِيَّ(٣) ؛ فاتَّخَذَ المُهَيْرات(٤) .

ولما حضرته الوفاة أوصَى بثلُث مالِه لأهلِ الأدبِ ، وقال : صناعةٌ مجفوٌّ أهلُها .

وكان إذا كثُرَ عليه أصحابُ الحوائجِ وخَشِي الضَّجر أمر أن يُحضَر ندماؤه من أهلِ الأدب ؛ فيتذاكرون مكارمَ الناس وجميل طرائقِهِم ومروءاتهم فيطربُ ، ويهيجُ ، ثم يقول : ائذنوا لأصحاب الحاجة ؛ فلا يدخل أحد إلا قضى حاجته .

وقال له هشام : يا أبا سعيد ؛ هل دخلَك ذُعرٌ

---

(١) مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، من أبطال بني أمية ، وله فتوحات شهيرة ، توفي بالشام سنة ١٢٠ هـ تقريباً .

(٢) أحفى الشعر : قصره وخفف منه .

(٣) السراري : جمع سرية وهى الأمة .

(٤) المهيرات : ذوات المهر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قطُّ لحربٍ شهدْتَها أو لعدوٍّ ؟ قال : ما سلمتُ في ذلك من ذُعرٍ ينبِّه عليَّ حيلةً ، ولم يَغْشَنِي فيها ذعرٌ يسلُبُني رأيي . قال هشام : هذه البَسَالة .

ودخل على عُمرَ بنِ عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه ؛ فقال : ألاَ توصِي يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : بِمَ أوصي ؟ فو اللّه إنْ لي من مالٍ(١) . فقال : هذه مائةُ ألفٍ ، مُرْ فيها بما أحببتَ . قال : أو تَقْبَلُ ؟ قال : نعم . قال : تَرُدُّها عَلى من أخذْتَها منه ظلماً . فبكى مَسلمةُ ثم قال : يرحمك اللّهُ ، لقد ألَنْتَ منَّا قلوباً قاسيةً ، وأتقيتَ لنا في الصالحين ذكرا .

واستبطأ عبدُ الملك ابنهَ مسلمةَ في مسيرهِ إلى الروم ؛ فكتب إليه :

لِمَنِ الظَّعائنُ سيرُهُنَّ تَزَحُّـــــفُ؟
سَيْرَ السفينِ إذا تقاعسَ يُجْدَفُ(٢)

---

(١) إن نافية بمعنى ليس ومن زائدة

(٢) البيت لأعشى همدان ، مطلع قصيدة قالها وهو أسير ببلاد الروم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فلما قرأ مسلمةُ الكتابَ ، كتب في جوابه :

ومستَعجِبٍ مِمَّا يَرَى من أناتِنا
ولو زَبَنَتْهُ(١) الحربُ لم يتَرمْرَمِ(٢)

* * *

مَرْوَانُ بنُ مُحَمَّد (٣)

دخل عبد الرحمن بن عطية التغلبي على مرْوانَ بنِ محمد ، فاستأذنه في تَقبيل يده فأعرضَ عنه ، ثم قال له : قد عَرف أميرُ المؤمنين موضعَك في قومِك ، وفضْلَكَ في نفسك ، وتقبيلُ اليدِ من المسلمِ ذِلَّةٌ ، ومن الذِّمي خديعةٌ ولا خيرَ لكَ في أن تَنْزِلَ بَينَ هاتين .

قالوا : كان يأخذ مرْوانُ بنُ محمد كلَّ سَنَةٍ من الخزانة قِباءين(٤) ، فإذا أخلَقَهما ردَّهما إلى الخزانة وأخذ جَديدين .

---

(١) زبنته الحرب : دفعته وصدمته

(٢) يترمرم : يحرك فاه بالكلام . والبيت لأوس بن حجر .

(٣) مروان بن محمد بن مروان ، وهو ابن أخي عبد الملك بن مروان ، آخر الخلفاء الأمويين ، ولد سنة ٧٣ هـ استولى على الملك سنه ١٢٧ هـ ، هزم في موقعة الزاب ، وقتل بمصر سنة ١٣٣ هـ

(٤) قباءين : مثنى قباء ، وهو نوع من الثياب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتب إلى بعض الخوارج : إني وإيّاكَ كالزجاجة والحجر ؛ إن وقعَ عليها رَضَّها ، وإن وقعت عليه فضَّها.

قال الأصمعي : لما وَلِيَ مروانُ الخلافةَ أرسلَ إلى ابن رغبان(١) — الذي نُسب إليه بعد ذلك مسجدُ ابنِ رَغْبَانَ — ليولّيَه ، فرأى له سجّادَةً مثل رُكبة البعير ، فقال . يا هذا ؛ إن كان مابكَ من عبادةٍ فما يحلُّ لنا أن نشغلَك . وإن كان من رياءٍ فما يحلُّ لنا أن نستعملَك .

قال ٢) عبد الحميد : تعلّمتُ البلاغةَ من مَرْوَان ، أمرني أن أكتبَ في حاجةٍ فكتبتُ على قدر المُوسع ؛ فقال لي : اكتب ما أقول لك :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أما آنَ للحُرمةِ أن تُرعى ، وللدّينِ أن يُقضى ، وللموافقةِ أن تُتوخّى !

---

(١) هو مولى حبيب بن مسلمة من قريش .

(٢) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد المشهور بعبد الحميد الكاتب أول من طول الرسائل ، وأمن فيها . اختص بمروان بن محمد ، وقتله العباسيون معه سنة ١٣٢ هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ووقّع إلى عاملٍ بالكوفة : حَابِ عِلْيةَ الناسِ في كلامِك ، وسَوِّ بَيْنَهُم وبين السهْلَةِ في أحكامك .

قالوا : وإنما لُقِّب بالحِمار لأن أصحابَ أبي مُسْلم لما خرجُوا كانوا حَمّارةً ، فكان الواحدُ إذا استعجل حِمَاره يقول : هرْ مَرْوان . هِسْ ، مَرْوان(١) فلما ظفروا به استمرَّ به اللقبُ .

قال عمر بن مروانَ : عرض أبي بظهر الكوفةِ ثمانينَ ألفَ عربيٍّ ، ثم قال بعد أن وثِق في نفسه بكثرةِ العَدَدِ والعُدَدِ : إذا انقضت المدةُ لم تُغْنِ العِدَّةُ ولا العُدة(٢) .

قال بعض القرشيين : وفد على مروان بن محمد — وقد تولّى الخلافة — ونزل حرّانَ(٣) قال : فتوالت على بابه الوفودُ ؛ فخرج إلينا آذِنُه ، فقال : أميرُ المؤمنين

---

(١) هرر . هرهرت بالغنم دعوتها ، والهر ضرب من زجر الإبل وهس ، بكسر الهاء وضمها : زجر الشاة

(٢) أي لا ينفع الرجال ولا السلاح .

(٣) حران . مدينة عظيمة مشهورة على طريق الموصل والشام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يغسلُ ثيابَه . فمن أراد أن يُقيمَ فليقمْ . ومن أراد أن ينصرفَ فلينصرفْ . فجعل الناس يعجَبون من ذلك . ولم يبرح أحدٌ .

وكان يُقال : لو ذهبت دولةُ بني مروانَ على يد غير مروانَ لقال الناسُ : لو كان لها مَرْوانُ ما ذهبت .

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثالث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلام الخلفاء من بني هاشم

السفّاح(١)

رفع بعضُ السُّعاةِ إليه قِصَّةً بسِعايةٍ على بعضِ عماله ، فوقَّعَ فيها :

هذه نصيحةٌ لم يُرَدْ بها ماعندَ الله ، ونحن فلا نقبلُ قولَ من آثرنا على الله .

ومن كلامه : إنَّ من أدنياء الناس وَوُضَعائِهم مَن عدَّ البُخلَ حزماً ، والحِلْمَ ذُلاً .

ومنه : إذا عظُمت المقْدِرةُ قلَّت الشهوة ، وقَلَّ تَبَرُّعٌ إلاَّ ومعه حقٌّ مُضَاع .

ومنه : إذا كان الحِلْمُ مَفْسَدة كان العفوُ مَعْجَزَةً ، والصبرُ حَسَنٌ إلاَّ عَلى ماأوتَغ الدِّين(٢) ، وأوهن

---

(١) عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أول خلفاء العباسيين ، ولد سنة ١٠٤ هـ ولقب بالسفاح ، لقوله في إحدى خطبه : « فأنا السفاح الهائح » توفي سنة ١٣٦ هـ .

(٢) أوتغ . أهلك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السلطان . والأناةُ محمودةٌ إلا عند إمكانِ الفُرصة .

قالوا : كلّم المنصورُ أبا العباس في محمد بن عبد الله بن حسن وأهله ، فقال : ياأمير المؤمنين ، آنِسْهم بالإحسان ، فإن استوحشوا فالشرُّ يُصلح ماعجز عنه الخَيرُ ، ولاتدَعْ محمداً يمرحُ في أعِنّةِ العقوق .

فقال : يا أبا جعفر ، إنّا كذلك . ومَن شدّد نفّر ، ومَنْ لان تألّفَ . والتغافُلُ مِنْ سجايا الكرامِ ، وماأحسنَ ماقال أعشى وائل(١) :

يُغضي عن العَوْراء(٢) ، او
لا الحِلْمُ غيَّرها انتصارُهْ

وكان يقول : إنّ المقدرةَ تُصغِرُ الأمنية ، لقد كُنّا نستكثر أُمورا ، أصبحنا نستقلها لأخَسِّ مَنْ صحِبنا ، ثم نسجد شكرا .

* * *

(١) هو الشاعر أعشى بنى قيس المشهور .
(٢) العوراء : الكلمة أو الفعلة القبيحة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المَنْصُور (١)

ذكر يوماً ملوكَ بني مرْوان ، فقال : كان عبدُ الملكِ جَباراً لا يُبالي ماصنعَ ، وكان الوليدُ لحافاً مجنوناً ، وكان سليمانُ همُّه بطنُه وفرجُه ، وكان عمرُ أعورَ بين عميانٍ ، وكان هشامٌ رجل القوم .

لما اتصل بهِ خروجُ محمدٍ وإبراهيم(٢) — رضى الله عنهما — شَنَّ(٣) عليه درعَه ، وتقلّد سيفَه وصعد المنبرَ ، فحمد الله وأثنى عليه وقال .

مالي أُكَفْكِفُ عن سَعْدٍ وتَشْتُمني
ولو شتمتُ بني سعدٍ لَقَد سَكَنوا
جَهْلاً عليناَ ، وجُبناً عن عدوِّهمو
لبئستِ الخَلّتَانِ : الجهلُ والجُبنُ(٤)

---

(١) ثانى خلفاء العباسيين ، ولد سنه ٩٥ هـ ، وولي الخلافه سنه ١٣٦ هـ . بنى بغداد وقويت بتشجيعه حركة الترجمة . توفي سنة ١٥٨ .

(٢) محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن الحسن العلوى : خرج أولهما سنة ١٠٤ هـ بالمدينة ، وتبعه الثاني فى السنة نفسها بالبصرة .

(٣) شن درعه : أسبغه عليه .

(٤) البيتان لقعنب بن أم صاحب شاعر إسلامي كان فى عهد الوليد بن عبد الملك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما والله لقد عَجَزُوا عما قُمنَا به ، فما عضدُوا المكافيَ ، ولاشكروا المُنعم .

فماذا حاولُوا ؟ أأشرب رنْقا(١) على غَصص ، وأبيتُ منهم على مَضَض ؟ كلاَّ والله أصل ذَا رحمٍ حاولَ قَطيعَتَها ، ولئن لم يرضَ بالعفوِ ليطلُبَنَّ مالاً يوجدُ عندي ، فلْيُبقِ ذو نفسٍ على نفسه ، قبل أن تمضيَ عنْه ، ثم لايُبكَى عليه ، ولا تذهبُ نفسٌ مَسَرَّةً لما أتاه .

وخطب بعد قَتلِه أبا مسلم(٢) ، فحمد الله ، ثم أثنى عليه ، ثم قال : أمَّا بعد ، أيها الناسُ ، فإنه من نازعَنَا عُروةَ هذا القميصِ أوطَأناه خبِيءَ(٣) هذا الغِمْدِ — وأومأ إلى سيفه — وإنَّ عبدَ الرحمن بايَعَنَا ، وبايعَ أنا على أنه مَنْ نكثَ بنا فقد حَلَّ دَمُه ، ثم نكثَ بنا ، فحكمنَا فيه لأنفُسِنا حُكمَه على غيرِه لنا ، ولم تَمْنَعْه رِعايةُ الحقِّ لهُ من إقامة الحدِّ عليه .

---

(١) الرنق : الماء المختلط بالطين .

(٢) قتل المنصور أبا مسلم سنة ١٣٧ هـ .

(٣) خبيء الغمد : ما استتر فيه والمراد السيف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أهوى(١) هشام(٢) بن عروة إلى يَدِه ليقبِّلها ، فقال له : ياأبا المنذر ، إنّا نكرِمُك عنها . ونكرمُها عن غيرك .

استأذَنَ سوّارُ(٣) قاضي البصرة على المنصور . فأذن له ، فدخل وسلّم ، فقال المنصورُ : وعليك السلام . ادنُ أبا عبدِ الله ، فقال : ياأميرَ المؤمنين ، أأدنُو على مامَضى عليه الناسُ أم على ماأحدثوا ؟(٤) فقال : بل على مامضى عليه الناسُ . فدنا فصافحه ثم جلسَ ، فقال المنصور : ياأبا عبد الله ، قد عزَمتُ على أن أدعُوَ أهل البصرةِ بسجِلاّتهم ، وأشْرِيَتهم(٥) ، فقال : ياأمير المؤمنين ، نشدتُك الله ألا تعرض لأهل البصرة . فقال : ياسوّار ، أبأهلِ البَصرة تهددّني ؟ والله لهمَمتُ أن أوحِّدَ

---

(١) أهوى : انحط من قرب .

(٢) هشام بن عروة بن الزبير ، ولد سنه ٦١ هـ ، من علماء الحديث ، توفي ببغداد سنة ١٤٦ هـ .

(٣) سوار بن عبد الله قاضي البصرة ، تولى قضاءها سبع عشرة سنة .

(٤) يريد بما مضى عليه الناس : المصافحه ، وبما أحدثوا : تقبيل اليد .

(٥) الأشرية : جمع شرى أو شراء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إليهم من يأخذ بأفواه سككهم وطرقهم ، ويضعُ السيف فيهم فلا يرفعهُ عنهم حتى يفنيَهم . فقال : ياأمير المؤمنين ، ذهبتَ إلى غير ماذهبتُ إليه ، إنما كرهتُ لكَ أن تتعرض لدعاءِ الأرملةِ واليتيم ، والشيخ الكبير الفاني ، والحدَثِ الضعيفِ . فقال : ياأبا عَبدِ الله ، أنا للأرملةِ بعلٌ ، ولليتيم أبٌ ، وللشيخ أخٌ ، وللحَدَثِ الضعيفِ عَمٌّ ، وإنما أُريدُ أن أنظرَ في سجِلاتهم وأشْرِيَتِهم لأستخرج مافي أيدِي الأغنياء ، مما أخذُوه بقوَّتِهم وجاهِهِم من حقوق الضعفاء والفقراء . فقال : وفَّقَكَ الله للخيرِ ، وأرشدك لما يُحِبُّ ويَرضَى .

كان المنصورُ يقولُ : الملوكُ تحمل كلَّ شيء إلا ثلاثَ خلالٍ : إفشاءَ السر ، والتَّعرض للحُرَم ، والقدح في الملك .

وقال : إذا مدَّ عدوُّك يدَهُ إليكَ فاقْطَعها إن أمكنك ، وإلاَّ فقبلها .

وخَطَبَ بمكَّةَ وقد أَمَّلَ الناسُ عطاءَه ، فقال : أيها الناس ، إنما أنا سلطانُ اللهِ في أرضِه ، أسوسُكُم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بتوفيقه وتسديده ، وخازنُه على فيئِه ، أعمل فيه بمشيئته وأقسمُه بإرادته ، وقد جعلَني الله عزَّ وجلَّ قُفلا عليه ، إذا شاء أن يفْتَحني فتحني ، وإذا شاء أن يُقفِلَني أقفلني ، فارغبُوا إلى الله أيها الناسُ في هذا اليوم الذي عرَّفكم من فَضْله ماأنزله في كتابه ، فقال جَلَّ اسمُه : (اليَومَ أكْملْتُ لكُم دِينَكُم ، وأتْممتُ عليكُم نِعمتي ، ورَضيتُ لَكُمُ الإسلامَ دِيناً)(١) أن يُوفِّقَني للصواب ، ويُسدِّدني للرَّشَاد ، ويُلْهِمني الرأفةَ بكُم ، والإحسانَ إليكُم ، ويفْتَحني لأعطياتكم ، وقَسْمِ أرزاقِكُم فيكم ، إنه قريب مجيب .

فقال ابن عيَّاشٍ المنتوفُ : أحالَ(٢) أميرُ المؤمنينَ بالمَنْع على ربِّه .

خطب المنصورُ بالكوفة فقال : الحمد لله أحمده ، وأستعينه ، وأومن به وأتوكلُ عليه ، وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده ، لاشريك له ، وأراد أن يقولَ : وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، فقال رجُلٌ : ياأمير المؤمنين ،

(١) سورة المائدة : ٣ .
(٢) أحال الغريم : زجاه إلى غريم آخر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أذكّرك مَنْ تُذكّرُ به ، فقال المنصورُ : سَمْعاً سَمْعاً لمن فهِمَ عن الله ، وأعوذُ بالله أن أُذكّر بالله وأنساه ، وأن تأخذني العزةُ بالإثم : (قد ضللتُ إذا وما أنا مِنَ المُهْتَدِينَ)(١) وأنتَ واللهِ ماللهَ أردتَ بذلك ، ولكن حاولتَ أن يُقالَ : قامَ فقالَ فعُوقِبَ فصبر ، وأهوِنْ بها وبقائلها ! ولو صمتَ لكانَ خيراً له ، فاهتَبِلْها إذا غفرتُها ، وإياكم وأخواتِها ، فإن الموعظةَ علينا نزلَتْ ، ومِن عندنا انْبَثَّت ، فرُدُّوا الأمر إلى أهله يصدِرُوهُ كما أوردُوهُ ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

ورجع إلى خطبتهِ .

وقال للمهديّ ابنهِ : ياأبا عبد الله ، لا تُبْرِمَنّ أمراً حتى تفكّرَ فيه ، فإنّ فكرةَ العاقِلِ مرآةٌ تُريه قبيحَه وحسنه .

وقال له : ياأبا عبد الله ، الخليفةُ لايُصلِحه إلاّ التقوى ، والسلطانُ لايُقيمُه إلاّ الطاعةُ ، والرعيةُ لايُصلحُها إلا العدلُ ، وأولى الناس بالعفوِ أقدَرُهم على

(١) سورة الأنعام : ٥٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العقوبةِ ، وأنْقَصُ الناس مُروءة وعقلاً مَنْ ظَلَم من هو دونَه .

وقال له الربيعُ : إن لفلانٍ حقاً ، فإن رأيت أن تقضيَه فتولِّيَه ناحيةً . فقال : يارَبيعُ ، إنَّ لاتصالِه بنا حقاً في أموالِنا ، لافي أعراض المسلمينَ وأموالهم . إنّا لانولِّي للحُرمةِ والرعاية ، بل للاستحقاق والكفاية ، ولا نُؤْثِرُ ذا النسب والقرابة على ذي الدِّرايَةِ والكِتابَة ، فمن كان منكم كما وصَفْنا شاركناهُ في أعمالِنا ، ومن كان عُطْلاً(١) لم يكن عُذْرٌ عند الناس في تَوْلِيَتِنا إيّاهُ ، وكان العُذْرُ في تركِنا له وفي خاصِّ أموالنا مايسعُهُ .

* * *

المُهْدِيُّ (٢)

حُكي أن رجلاً أتى بابَ المهديِّ ، ومعه نعلانِ

---

(١) العطل : تقال للخالي من أي شيء ، وفي الأصل تقال في الخلو من الحلي للنساء

(٢) محمد بن عبد الله المهدي ثالث الخلفاء العباسيين ، ولد سنة ١٢٧ هـ ، وتولى الخلافة سنة ١٥٨ هـ كان شديداً على الزنادقة توفي سنة ١٦٤ هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال : هما نعلاً رسول الله — صلّى الله عليه وسلم — فعَرَّفَ المهديُّ ، فأدخلَه ووصَلَه ، فلما خرج قال المهديُّ : والله ما هذا نعلُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومن أين صارتْ إليه ؟ أبِميراثٍ أم بشرىً (١) أم بهبة ؟ لكني كرهتُ أن يقال : أُهدِيَ إليه نعلُ رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ، فلم يقبلها ، واستخفَّ بحقِّها .

قال الربيعُ : لما حبَس المهديُّ موسى بنَ جعفر — رضي الله عنه —(٢) رأى في النوم عليا — رضي الله عنه — وهو يقول له : يا محمد ؛ (فَهَل عَسَيتُم إن تَوَلّيتُم أن تُفسدُوا في الأرضِ وتُقَطِّعُوا أرحامَكُم) (٣) قال الربيعُ : فأرسلَ إليَّ ليلاً فراعَني ذلكَ ، وإذا هو يقرأُ هذه الآيةَ — وكان أحسنَ الناس صوتاً — فعرَّفَني خبرَ الرُّؤْيا . وقال : عليَّ بموسَى بنِ جعفر . فجئتُهُ به ؛ فعانَقَه وأجلَسَهُ إلى جانبِه ، وقال : يا أبا الحسنِ ؛

---

(١) الشرى والشراء بمعنى واحد .

(٢) هو موسى بن جعفر الطالبي ، ولد سنة ١٤٥ هـ . حبسه المهدي ثم أطلقه .

(٣) سورة محمد : ٢٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنّي رأيتُ أميرَ المؤمنينَ — رضي الله عنه — فقرأ عليّ كذا . أفتؤمّنُني أن تخرج عليّ ، أو علىَ أحدٍ من وَلِدي ؟ فقال : والله ما ذاك شأْني . فقال : صدقتَ . يا ربيعُ ؛ أعطِه ثلاثةَ آلاف دينارٍ ، ورُدّه إلى أهلهِ بالمدينةِ .

ولما استُخلِفَ أحرج مَنْ في السجون ، فقيل له : إنما تُزْري على أبيكَ ؛ فقال : لا أُزْري ، ولكنّ أبي حبس بالذنبِ ، وأنا أعفو عنه .

وولّى الربيعَ بنَ أبي الجَهم فارسَ ؛ فقال له : يا ربيعُ ؛ آثرِ الحق ، والزمِ القصدَ ، وارفقْ بالرعيةِ ، واعلم أنّ أعدل الناس مَن أنصفَ الناسَ من نفسه ، وأجْورَهم منْ ظلمهم لغيره .

قيل : كان المهديُّ يُصلّي الصلواتِ كلّها في المسجدِ الجامع بالبصرة لما قَدِمَها ، فأُقيمَتِ الصلاةُ يوماً ؛ فقال أعرابيٌّ : يا أميرَ المؤمنين لستُ على طُهرٍ ، وقد رغبتُ إلى اللهِ في الصلاة خلفَكَ ، فَأْمر هؤلاء أن ينتظروني فقال : انتظرُوه رحمكم الله ؛ ودخل إلى المحرابِ ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فوقف إلى أن أقبلَ ، وقيل له : قد جاءَ الرجلُ ؛ فعجب الناسُ من سماحةِ أخلاقِه .

هاجتْ ريحٌ سوداءُ في أيامِ المهدي ، فرؤي وهو ساجدٌ يقول : اللهمَّ لا تُشمِتْ بنَا أعداءَنَا من الأُمم واحفظْ فِينَا دعوةَ نبيِّنَا — صلى الله عليه وسلم — وإن كنتَ أخذتَ العامَّةَ بذنبي فهذِه ناصيتِي بيدِك (١) .

وكان المهديُّ يحبُّ الحمَّامَ ؛ فأُدخِلَ عليه غِياثُ بنُ ابراهيم ؛ فقيل له : حدِّث أميرَ المؤمنين وكان قد بلغه استهتارُ (٢) المهديِّ بالحمَّام ؛ فقال : حدَّثَني فلانٌ عن فلان عن أبي هريرة — رفعَهُ — أنه قال : « لاَ سَبَقَ إلاَّ في حافِرٍ أو نَصْلٍ أو جَنَاحٍ » (٣) ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم . فلمَّا قَامَ ، قالَ المهدي ، وهو ينظُرُ في قَفَا غِيَاث :أشهدُ أنَّ قَفَاك قَفَا كذَّابٍ على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وإنَّمَا استجلبتُ ذلكَ أنَا ، وأمرَ بالحَمَّامِ فذُبحت .

* * *

(١) الناصية : قصاص الشعر في مقدم الرأس . يريد : أمري بيدك ،

(٢) الاستهتار بالشيء : الولع به .

(٣) والحديث موضوع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الهَادِي (١)

اعتلَّت أمُّه الخيزران (٢) ؛ فأراد الركوبَ إليها ، فقال عُمرُ بن بزيع (٣) ألاَ أدلُّكَ على مَا هُوَ أنفعُ من عِيادَتها ، وأجلبُ لعافيتِها ؟ قال : بلى . قال : تجلسُ للمظالم ؛ فقد احتاج الناسُ إلى ذلكَ ، فرجع وجلس ووَجَّه إليها : إني أردتُك اليومَ ، فعرضَ من حقِّ الله ما هو أوجبُ ، فمِلتُ إليه ، وأنَا أجيئُك في غدٍ إن شاءَ الله .

قال سعيد بن سَلْم الباهلي : صلَّى بنا الهادي صلاةَ الغداة فقرأ : (عمَّ يَتَسَاءَلُونَ) (٤) فلما بلغ قوله تعالى : ((أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً)) أُرْتِج

---

(١) موسى بن محمد المهدي بن المنصور ولد سنة ١٤٤ هـ ، تولى الخلافة سنة ١٦٩ هـ .

(٢) الخيزران بنت عطاء جارية اشتراها المهدي ، وولدت له الهادي والرشيد

(٣) عمر بن بزيع ، تولى ديوان زمام الأزمة في عهد المهدي ، وديوان الرسائل في عهد الهادي .

(٤) سورة النبأ : ١ و ٦ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليه ؛ فردَّدَها ولم يَجْسِرْ أحدٌ أن يَفْتَحَ عليه لهَيْبَته ، وكان أهيبَ الناسِ ، فعلمَ ذلك فقرأ : ((أليْسَ مِنكُم رجُلٌ رشيدٌ)) (١) فَتَحنا عليه ، وكنا نعُدُّ هذا من محاسنه .

* * *

الرَّشيدُ (٢)

قال لحاجبه : احجُبْ عنِّي مَنْ إذا قَعدَ أطَال ، وإذا سأَل أحالَ ، ولا تَسْتَخفَنَّ بذي الحُرْمَةِ ، وقدِّمْ أبناءَ الدعوةِ .

عرض له رجلٌ وهو يطوفُ بالبيت ؛ فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إني أُريدُ أنْ أكلِّمك بكلامٍ فيه خُشونةٌ فاحتمالُه لي . قال : لا ، ولا كرامةَ ، قد بعثَ الله من هو خيرٌ منك إلى من هو شرٌ منِّي ؛ فقال : ((فقُولاَ لَهُ قَولاً لَيِّناً)) (٣) .

---

(١) سورة هود : ٧٨ .

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي ، ولد سنة ١٤٨ هـ ، وتولى الخلافة سنة ١٧٠ هـ ، وتوفي سنة ١٩٣ هـ .

(٣) سورة طه : ٤٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولما احتُضِر قال : واحيائي من رسول الله !

ودعا بعبد الملك بن (١) صالح وعندهُ وُلاةُ عَهْدِهِ وقوَّادُ جُنْدِهِ ؛ فجيءَ بهِ وهو يَرْسُفُ في قَيْدِهِ ، فلما مثل بين يدي الرشيدِ . قال الرشيدُ :

أريدُ حياتَه ويريدُ قَتْلِي
عذيرَكَ مِنْ خَليلِكَ من مُرادِ (٢)

واللهِ لَكأَني أنْظُرُ إلى شُؤْبُوبِها (٣) . وقَد همع (٤)، وإلى عارضِها (٥) وقد لمع ، وإلى الوعيدِ قد أوْرَى ناراً ؛ فأَقلعَ عن رُؤوسٍ بلا غَلاصِم (٦) ، ومَعَاصِم بلا بَراجم (٧) ، مهلاً مهلاً بني هاشمٍ ، فبِي سُهِّلَ لكمُ

(١) عبد الملك بن صالح العباسي ، من أمراء العباسين ، حبسه الرشيد سنة ١٨٧ هـ ، وأطلق الأمين سراحه مات سنة ١٩٦ هـ .

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب .

(٣) الشؤبوب : دفعة المطر .

(٤) همع المطر : سال .

(٥) العارض : السحاب المعترض في الأفق .

(٦) الغلاصم : جمع غلصمه وهي اللحمة بين الرأس والعنق .

(٧) البراجم : جمع برجمة وهي مفصل الإصبع .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوَعْرُ ، وصفَا لكم الكَدَرُ ، فَنَذَارِ نَذَارِ (١) من حُلولِ داهيةٍ خيوطٍ باليدِ ، لَبُوطٍ (٢) بالرِّجْلِ .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ أأتكلم فذّاً (٣) أو توأماً ؟ فقال : بل فَذّاً ، فقال : اتّقِ الله يا أميرَ المؤمنين فيما وَلاّكَ ، وراقبه فيما استرْعاكَ ، ولا تجعلِ الشُّكرَ بموضعِ الكُفر لقول قائل يَنْهسُ اللحمَ (٤) ، ويابَغُ الدمَ ؛ فوالله لقد حَدَدْتُ القلوبَ على طاعتِك ، وذلّلتُ الرجال لمحبتك ، وكنتُ كما قال أحو بني كلاب (٥) .

ومقامٍ ضيّقٍ فرّجْتُهُ
ببياني ، ولساني ، وجدَلْ
لو يقومُ الفيلُ أو فَيّالهُ
زلَّ عن مِثْلِ مقامي وزحَلْ (٦)

---

(١) نذار : اسم فعل أمر بمعنى أنذر .
(٢) لبوط : صيغة مبالغة من لبط الأرض : ضربها برجله ضرباً شديداً .
(٣) الفذ : الفرد .
(٤) يهنس اللحم : ينتزعه بالثنايا للأكل .
(٥) لبيد بن ربيعة .
(٦) زحل : تحول عن المكان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأمر به فرُدَّ إلى محبسه . ثم قال : لقد دعوتَ به ، وأنا أرى مكانَ السيفِ من صليفِ قفاه (١) ، ثم هأنا قد رثيتُ له .

كتب الرشيدُ إلى الفضل بن يحيى : أطال الله يا أخي مُدَّتك ، وأدامَ نعمتَك ، والله ما منعني من إتيانك إلا التطيُّرُ من عيادتك ؛ فاعذرْ أخاك ، فو الله ما قلاك ولا سلاك ، ولا استبدل بك سواك .

وعاتبتْه أم جعفر(٢) في تقريظه للمأمون ، دونَ محمدٍ ابنها ، فدعا خادماً بحضرته ، وقال له : وجِّه إلى محمدٍ وعبد الله خادمَين حصيفَين يقولان لكل واحد منهما على الخلوة : مايفعلُ به إذا أفضَت الخلافة إليه ؟ فأما محمدٌ فإنه قال للخادمِ : أقطعك وأعطيك ، وأقدِّمك . وأما المأمون فإنه رمى الخادمَ بدواةٍ كانت بين يديه ، وقال : يابنَ اللَّخْناء(٣) ، أتسألُني عمّا أفعلُ

---

(١) صليف القفا : عرضه أو رأس الفقر التي تلي الرأس .

(٢) أم جعفر هي زبيدة بنت جعفر بن المنصور تزوجها الرشيد سنة ١٦٥ هـ وهي أول حفيدة خليفة وزوج خليفة وأم خليفة توفيت في أيام المأمون سنة ٢١٦ هـ .

(٣) اللخناء : المنتنة الرائحة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بك يوم يموتُ أميرُ المؤمنين ، وخليفةُ ربِّ العالمين ؟ إني لأرجو أن نكون جميعاً فداءً له .

فرجعا بالخَبَر ، فقال الرشيدُ لأم جعفرٍ : كيف ترينَ ؟ ماأقدِّم ابنَك إلاَّ متابعَةً لرأيك ، وتَركاً للحزمِ .

وسايَره يوماً عبدُ الملكِ بنُ صالح ، فقام رجل ، فقال : ياأمير المؤمنين ، طأطِىء من إشرافِه(١) ، واشدُدْ شكائمه(٢) ، وإلاَّ أفسد عليك مُلْكَكَ .فقال الرشيدُ : ياعبدَ الملك ، ماهذا ؟ قال : حاسِدُ نعمة ، ونافسُ رُتْبَة أغضبه رِضَاكَ عنيِّ وباعدَه قُربُك مني ، وساءه إحسانُك إليَّ . فقال الرشيدُ : انْخَفَضَ القومُ وعَلوتَهم ، فتوقَّدتْ في قلوبهم جَمرةُ التأسُّف ، فقال عبد الملك : أضْرَمَها الله بالتزَيُّد عندك ، فقال : هذا لكَ ، وذاكَ لهم

---

(١) الإشراف : العلو والانتصاب

(٢) الشكائم : جمع شكيمة ، وهي الحديدة عن اللجام ، المعترضة في فم الفرس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان الحسنُ اللؤلؤيُّ(١) يختلفُ إلى المأمون ، يُلقي عليه الفرائضَ ، فدخل عليه ليلةً وقد صلى العشاء الآخرةَ ، فجعل يُلقي عليه ، ونَعس المأمونُ فأطبقَ جَفْنَه ، فقال الحسنَ : أنِمتَ أيها الأميرُ ؟ ففتحَ عينيه — وهو إذ ذاكَ صبيٌّ — فقال : عامِيٌّ واللهِ لم يُغَذَّ بالأدب ، خذُوا بيدِه ولاتُعيدُوه إليَّ .

فبلغ ذلك الرشيد ، فتمثل بقول زهير(٢) :

وهل يُنْبِتُ الخَطِيَّ(٣) إلاوَشِيجُهُ(٤)
وتُغْرَسُ إلاَّ في مَنابِتِها النَّخْلُ

وصَعِدَ يوماً المنبرَ وقد شَغِبَ الجُنْدُ ، ثم سَكَنوا بعد إيقاعٍ بهم ، فقال :

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلَّى الله على ملائكته المقرَّبينَ ، والأنبياء أجمعين .

---

(١) الحسن بن زياد اللؤلؤي ، مولى للأنصار ، تفقه بالكوفة ورحل إلى بغداد واتصل بالمأمون .

(٢) المراد زهير بن أبي سلمى .

(٣) الخطي : الرماح ، نسبة إلى خط البحرين .

(٤) الوشيجة : عرق الشجرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما بعد ، فقد كان لكم ذَنْبٌ ، وكان لنا عَتْبٌ ، وكان منكم اصْطِلامٌ(١) ، وكان منّا انتقامٌ . وعندي بعد هذا التنفيسُ عن المكروبين ، والتفريجُ عن المغمومين ، والإحسانُ إلى المحسنين ، والتَّغَمُّدُ(٢) لإساءة المُسيئين ، وألاّ يُكْفَرَ(٣) لكم بَلاءٌ ، ولايُحبَسَ عنكم عَطاءٌ ، وعليّ بذلك الوفاءُ إن شاء الله . ثم نزل .

قال سعيدُ بن سَلْم : كان فهمُ الرشيدِ فَهْمَ العلماءِ . أنشده العُمَّاني(٤) في صفة فرس :

كأنّ أُذنَيْهِ إذا تَشوَّفَا(٥)
قادِمةٌ أو قَلَماً مُحَرَّفَا

فقال الرشيدُ : دَعْ كأنّ ، وقُل : تخالُ أذنيه حتى يستوِيَ الشعر .

---

(١) اصطلم الشيء : اجتثه من جذوره .

(٢) التغمد : الستر ، وأصله من تخبئة السيف في غمده .

(٣) يكفر : يجحد .

(٤) هو محمد بن ذؤيب الدارمي ، اشتهر بلقب العماني ، ولم يكن من عمان ، شاعر رجاز متوسط من شعراء الدولة العباسية .

(٥) تشوف : نصب عنقه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنشد النَّمَرِيَّ(١) الرَّشيدَ شعراً يقول فيه:

ليستْ كأسيافِ الحُسينِ ولابني
حَسَنٍ ، ولآلِ الزبيرِ الكُلَّل(٢)

فقال له الرشيد : وماتَوَلُّعك(٣) بذِكْرِ قَومٍ لاينالُهم ذمٌّ إلاَّ شاطرتُهم إياه . قَدْ رَابني هذا منكَ وفيكَ ، فلاتَعُدْ لَهُ ، فإنما نفارقُهم في الملكِ وحدَه، ثم لا افتراقَ في شيءٍ بعدَه .

قال الأصمعي : قال لي الرشيد في أول يوم عزم فيه على تأنيسي(٤) : ياعبد الملك(٥) ، أنت أحْفَظُ منَّا ، ونحنُ أعقلُ منك . لاتعلِّمنْا في ملاءٍ ، ولاتُسرعْ إلى

---

(١) منصور بن سلمة بن الزبرقان النزاري النمري ، شاعر من شعراء الدولة العباسية ، حبسه الرشيد حتى أطلقه الفضل بن الربيع ، ومات في أيام الرشيد .

(٢) الكلل : جمع كال وهو السيف لا حد له ، أو الذي لا يقطع .

(٣) تولع بفلان : شتمه وذمه .

(٤) التأنيس : الطمأنينة .

(٥) هو عبد الملك بن قريب العلامة اللغوي الأخباري ولد سنة ١٣٨هـ، وتوفي سنة ٢١٦ هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تذكيرِنا في خَلاءٍ ، واترُكْنا حتى نَبْتَدِئك بالسُّؤال ، فإذا بلغتَ من الجواب قَدْرَ استحقاقِه فلا تَزِدْ ، وإياك والبَدَاءَ إلى تصديقنا ، أو شِدَّةَ العجبِ بما يكونُ منّا . وعَلِّمْنا من العلم مانحتاجُ إليه ، على عَتَباتِ المنابر ، وفي أعطافِ الخُطَبِ ، وفَواصلِ المخاطباتِ ، ودَعْنا من روايةِ حُوشِيِّ الكلامِ (١) وغرائبِ الأشعارِ ، وإياكَ وإطالةَ الحديثِ إلاّ أنْ نَستدعيَ ذلكَ منكَ . ومتى رأيتَنا صادِفينَ (٢) عن الحقِّ فأَرْجِعْنا إليه ماستَطَعْتَ ، من غيرِ تقريعٍ بالخطأ ، ولا إضْجارٍ بطُولِ التَّرْداد .

قال : قلتُ : أنا إلى حِفْظِ هذا الكلام أحوجُ منِّي إلى كثيرٍ من البِرِّ .

* * *

الأَمِينُ (٣)

قيل لِبَعضِ العلماء : كيف كانت بلاغةُ الأمينِ ؟

---

(١) حوشي الكلام : غريبه .

(٢) صدف عن الحق : أعرض .

(٣) هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٧٠ هـ ، وبويع له بالخلافة سنة ١٩٣ هـ بعد وفاة الرشيد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال : والله لقد أتتهُ الخلافةُ يوم جُمعةٍ ، فما كان إلا ّ ساعةً حتى نُودي : الصلاةُ جامعةٌ ، فخرج ورَقِيَ المِنْبَرَ ، فَحَمِدَ اللهَ ، وأثنى عليه . ثم قال :

أيُّها الناس ، وخصوصاً يابني العباس ، إنَّ المنونَ مراصدُ ذوي الأنفاس ، حتْمٌ مِنَ الله لايُدْفع حُلولُه ، ولا يُنكَرُ نزولُه ، فارتجعُوا قلوبَكم من الحُزْنِ على الماضي إلى السرورِ بالباقي ، تُجزوْنَ ثوابَ الصابرين ، وتُعْطَوْنَ أجورَ الشّاكرينَ .

فتعجب الناسُ من جُرأته ، وبِلَّةِ(١) رِيقِهِ ، وشدَّةِ عارضته(٢) .

وكان المأمونُ يقولُ : كان يقول لي الرشيدُ : وددْتُ لو أنَّ لكَ بلاغةَ محمد ، وأنَّ عليَّ غرمَ كذا وكذا .

وذكرَ أنَّ محمداً في صِباه كان كثيرَ اللَّعِب ، وكان المعلّمُ يُلقي عليه في الكُتّابِ ، وعلى المأمونِ ،

(١) بلة اللسان : انطباق الحروف على مخارجها .

(٢) شدة العارضة : كناية عن القوة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان محمدٌ يلعبُ ويحفظُ ، والمأمونُ ينسى وهو مُقْبِلٌ على العلم يقصِدُ قَصْدَهُ .

ذُكر أنه دعا يوماً عبدَ الله بن أبي عَفَّانَ ليصطبح ، فأبطأ فلما جاء قال : أظنُّك أكَلْتَ . قال : لا والله . قال : والله لتصدقَنَّ ، قال : نعم ياأمير المؤمنين ، فدعا بحكَّاكٍ فحكَّ أضراسه السُّفْلى ، فلما ذهبَ ليحكَّ العليا قال : يا أمير المؤمنين ، دعها لغضبة أخرى ، فخلاَّه .

قال الفَضْلُ بنُ مروان(١) : سمعتُه يقول في خطبته : الناسُ جميعاً آمنونَ إلاَّ أصحابَ الأهْواء .

وقال لكاتبٍ بين يديه : دعِ الإطنابَ ، والزمِ الإيجازَ ، فإنَّ للإيجازِ إفهاماً ، كما أنَّ مع الإسهابِ استِبهاماً .

---

(١) الفضل بن مروان بن ماسرخس ولد سنة ١٧٠ هـ أخذ البيعة للمعتصم سنة ٢١٢ هـ ، وكان وزيراً عنده ، ألف بعض الكتب ، توفي سنة ٢٥٠ هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المأمون (١)

وذكر أنّ الكسائي(٢) قام إليه يوماً -- وهو يُعلّمُهُ وهو صغيرٌ -- فضربَهُ . وقد كان صلّى ذلك اليوم قاعداً فقال المأمون : أما تستحي أيها الشيخ تصلي للّه قاعداً ، وتَضربُني قائماً ! .

قال بعضُهم : قرأتُ كتابَ ذي الرياستين(٣) إلى المأمونِ ، وتوقيعَ المأمون فيه ، فإذا في الكتابِ بعد الصّدر والدعاء :

إنّ قارئاً قرأ البارحةَ : « وقُلْنَ نسوةٌ في المدينة »(٤)

---

(١) عبد الله بن هارون الملقب بالمأمون ، ولد سنة ١٧٠ هـ من أم ولد ، ولي الخلافة سنه ١٩٨ هـ وكان عصره من أزهى عصور الثقافة العربية توفي سنة ٢١٨ هـ .

(٢) هو إمام النحو ، وعالم القراءات واللغة علي بن حمزة الأسدي ، رأس النحويين في الكوفة كما كان سيبويه في البصرة ، وكان مؤدبا للأمين والمأمون توفي سنه ١٨٩ هـ.

(٣) هو الفضل بن سهل السرخي ، لقب بذي الرياستين لأنه جمع بين رياستي القلم والتدبير أو لأنه جمع بين رياستي الحرب والتدبير .

(٤) الآيه : (وقال نسوة في المدينة . . .) سورة يوسف : ٣٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأنكرنا ذلك عليه ، فذكر أنّ الكسائيّ أجازه ، وكتاب الله لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، فردّدنا علمَ كتابِ الله إلى خليفته .

قال : وإذا توقيعُ المأمون فيه : عمّرك اللهُ — ذا الرياستين — طويلاً في طاعته ، وجعلكَ قائماً بأمر دينه ، ذابّاً عن حريم أمّته ، إنّ لكلّ علمٍ دستوراً ، ودستورُ هذا العلمِ القرآنُ ؛ فعليكَ بقراءته على ما أجمعَ عليه ، ولا تلتفت إلى مختارٍ قولاً ليعقد له رياسةً ، والسلام .

كتب المأمونُ إلى طاهرٍ لما قتل عليّ بن عبسى(١) في رسالة طويلة :

إنّما لك من هذا الأمرِ موقعُ السّهمِ من الرّميّة ، والتسديدُ والرأيُ ، والتدبيرُ لأبي العباسِ الفضلِ بنِ سهل.

وكان يقولُ : إذا رُفعَت المائدةُ من بين يديه : الحمدُ للهِ الذي جعل أرزاقنا فضلاً عن أقواتنا(٢) .

وقال : ما انفتقَ عليّ قط إلا وجدتُ سببَه جورَ العمال .

---

(١) علي بن عيسى بن ماهان ، من قواد العباسين ، وقائد جيش الأمين .

(٢) اجعل أرزاقنا فضلا عن أقواتنا : زائدة عنها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال : أهلُ السُّوق سُفَّلٌ ، والصنَّاعُ أنذالٌ ، والتجار بخلاءُ ، والكتّابُ ملوكٌ على الناس .

وقيل له : ليس في السَّرَفِ شَرَفٌ ، فقال : ليس في الشرفِ سَرَفٌ .

وقال يوماً لبعضهم : متى قدمتَ ؟ قال : بعد غدٍ يا أمير المؤمنين . فقال : بيني وبينكَ بَعْدُ مرحلتان .

وقال لعبد اللّه(١) بن طاهر : تَشَبَّثْ ، فإنّ اللّهَ قد قطعَ عُذْرَ العَجُول ، بما مكّنَهُ من التَّشَبُّث ، وأوجَبَ عليه الحُجَّةَ على القَلق ، بما بَصَّره مِنْ فَضْلِ الأناة . فقال ابنُ طاهر : أأكتبه ؟ فقال : نعم .

قالوا : لما وجد عمرُ بنُ فرج(٢) كتاباً من أهل الكَرْخِ(٣) إلى علي بن محمد بن جعفر بن محمد(٤) —

(١) عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي ولد سنة ١٨٢ هـ ، ولي الشام ومصر سنة ٢١١ هـ ، ثم ولي خراسان وبها توفي سنة ٢٣٠ هـ .

(٢) عمر بن فرج الرخجي من أعيان الكتاب في أيام المأمون .

(٣) المرادبه كرخ بغداد ، بناه المعتصم للتجار ، وجعله سوقاً لبغداد ورتبهم فيه .

(٤) هو علي بن موسى بن جعفر أحد أئمة الشيعة الإمامية ، توفي سنة ٢٥٢ هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رضي اللّه عنهم — جاء به إلى المأمون ، فقال المأمون : نحنُ أولَى مَن ستَر هذا ولم يُشِعْه . ودعا عليَّ بن محمد ؛ فقال له : قد وقَفْنَا على أمرك ، وقد وهبنا ذلك لعليٍّ وفاطمةَ — رضي اللّه عنهما — فاذْهب ، وتخيَّر ما شئْتَ من الذُّنوب ، فإنا نتخيَّرُ لكَ مثل ذلكَ من العفو .

رفع الواقدي(١) قصةً إليه يشكو غَلَبة الدَّين ، وقلةَ الصبر ؛ فوقَّع المأمونُ عليها : أنتَ رجلٌ فيك خلَّتَان : السخاءُ والحياءُ ؛ فأما السخاءُ ، فهو الذي أطلقَ ما في يدك ، وأمَّا الحياءُ فبلغ بك ما أنتَ عليه ، وقد أمرنا لك بمائةِ ألف درهم . فإنْ كُنَّا أصَبنا إرادتَك فازْدَد في بسطِ يدك ، وإن كنَّا لم نُصِب إرادتَك فبجنَايتكَ على نفسك . وأنت كنتَ حدثتْني ، وأنتَ على قضاء الرشيد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن أنس بن مالك أن رسول اللّه — صلى اللّه عليه وسلم — قال للزبير : « يَا زُبير ؛ إنَّ مَفَاتيح الرِّزْقِ بإزَاء العرشِ ، يُنْزِلُ

---

(١) الواقدي : هو محمد بن عمر بن واقد ، من المؤرخين ، وحفاظ الحديث تولى القضاء ببغداد ، ولد سنة ١٧٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٥٧ هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللّهُ للعباد على قَدرِ نَفَقَاتِهم؛ فَمَنْ كَثَّر كُثِّر لَه . ومن قَلَّلَ قُلِّلَ لَهُ .»

قال الواقدي : وكنتُ أنسيت هذا الحديثَ ؛ فكانت مذاكرتُهَ إيَايَ به أعجب إليَّ من صلته .

وقال المأمونُ : الطعامُ لونٌ واحدٌ . فإذا استَطَبتَه فاشبعَ منه . والندمانُ واحدٌ ، فإذا استطبته فاستَزِدهُ حتّى تقْضي وطَرَك منه .

وذكر أنّ إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون ، وبين يديه صَاعُ رُطَب ، فقال : ادنُ فكُلْ . فقال : يا أميرَ المؤمنينَ على ما بي ؟ وكان وجِعَ العين ؛ فقال : ويحك ولا تَهَبُ عينك للرّطب .

ودخل إليه الطبيبُ فشكا إليه وجعَ الأسنان ؛ فقال : يا أميرَ المؤمنين لا تأكل الرطبَ ولا تشربِ المَاء بثلجٍ ؛ فقال : لولاهما ما أردتُك .

وقَّع المأمون في قصة مُتَظلِّمٍ من أبي عيسى بن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرشيد(١) : (فإذا نُفِخَ في الصُّورِ فلا أنْسابَ بينَهُم يومئذٍ ولا يتَساءلُون) (٢) .

وتظلم إليه قوم من قاضي جَبَّل (٣)، وذكروا أنه يعضُّ رؤوسَ الخصوم ، فوقَّع في قصتهم : يُشْنَقُ(٤) إنْ شاء اللّه .

وقال : من أراد أن يطيبَ عيشُه فليدفعِ الأيامَ بالأيامِ .

قال العباسُ بن المأمون(٥) لغلامه : إنْ رأيتَ في الرُّصَافَةِ بقْلا حسناً فاشترِ لي منه بنصف درهم . فقال المأمونُ : أمَّا إذ عرفتَ أنَّ للدرهمِ نصفاً فو اللّهِ لا أفلحتَ أبداً .

---

(١) أبو عيسى هو أحمد بن الرشيد ، أمه بربرية ، كان أديباً ظريفاً وله شعر

(٢) سورة المؤمنون . ١٠١ .

(٣) جبل بليد ببن النعمانية وواسط ، كانت مدينة كبيرة وينسب إلى قاضيها في أيام المأمون ما يدل على ضعف عقله .

(٤) يشنق : يؤخذ منه الشنق وهو الأرش ما دون الدية من المعاقل الصغار .

(٥) العباس بن المأمون ، ولاه أبوه الجزيرة سنة ٢١٣ هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال يحيى بن أكثم : ما شَيَّعْتُ المأمون في بُسْتانه ، ويدُه في يَدي ، فكان في الظلِّ ، وأنا في الشمس . فلما بلغْنَا ما أردنا . ورجعنا صرتُ أنا في الفيء وصارَ هُو في الشمس : فَدُرتُ أنا إلى الشمس ؛ فقال : ليس هذا بإنصاف ، كما كنتُ أنا في الفيء ذاهبا ، فكنْ أنتَ في الفيء راجعاً .

وخطب بمَرْو — وقد ورد عليه كتابُ الأمينِ يُعزِّيه بالرشيدِ ، ويحثُّه على أخذِ البيعة له — فقال :

إنَّ ثمرة الصبرِ الأجرُ ، وثمرةَ الجزَعِ الوِزرُ ، والتسليمُ لأمر اللّه جلَّ وعزّ فائدةٌ جليلةٌ ، وتجارة مُربحةٌ ، والموتُ حوضٌ مورودٌ ، وكأس مشروبٌ . وقد أتى على خليفتكم — رضي اللّه عنه — ما أتى على نبيِّكم صلى اللّه عليه وسلم ، فإنَّا للّه وإنا إليه راجعُونَ ، فما كان إلا عبداً دُعِيَ فأجابَ ، وأُمرَ فأطاع ، وقد سدَّ أميرُ المؤمنين ثَلْمتَه(١) وقام مَقامَه ، وفي أعناقكم من العَهدِ ما قد عَرَفتم ؛ فأحسنُوا العزاء عن إمامكُم الماضي ، واغتبطوا بالنعماء بالوفاءِ لخليفتكم الباقي . يا أهلَ

---

(١) الثلمة : الخلل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خُرَاسانَ : إنَّ الموتَ نازلٌ ، والأجلَ طالب ، وأمسِ واعظٌ ، واليومَ مغتَنمٌ ، وغداً منتظَرٌ . ثم نزل .

وكتب إليه يزيد بن عقال يُشْني على عبد اللّه بن طاهرٍ ، فوقَعَ المأمون في كتابه : عبدُ اللّه كما ذكرتَ ، وعلى أكثر مما وصفتَ . قد حمَّلَه أميرُ المؤمنين فاحتملَ ، وأثقَلَه فاضْطَلَعَ .

كانوا يسمُّون أرصادَ السلطانِ المسالحَ من السِّلاح ، فكرِه ذلك المأمونُ فصيَّره المصَالِحَ من المصلحة .

وقال : إذا أصلَحَ المَلِكُ مجلسَه ، واختارَ من يُجالِسُه صلُح مُلْكُهُ كلُّه .

ورفع أهلُ الكوفة قِصةً إليه يشكون عاملاً ؛ فوقَّع : عيني تراكُم ، وقلبي يرعاكُم ، وأنا مولٌّ عليكُم ثِقَتِي ورِضَاكُم .

وشغب الجندُ فرُفع ذلك إليه ؛ فوقَّع : لا يُعطَونَ على الشَّغب ، ولا يُحوَجُونَ إلى الطَّلَب .

قال يحيى بنُ أكثمَ : لما أراد المأمونُ أن يزوِّج علي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابن موسى(١) ، قال لي : يا يحيى تكلَّم ، فهِبتُ أنْ أنْ أقولَ أنكحتُ ؛ فقلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، أنت الحاكمُ الأكبر وأنت أولى بالكلام ؛ فقال :

الحمدُ للّه الذي تصاغرتِ الأمورُ لمشيئته ، ولا إله إلاّ اللّه ، إقراراً بربُوبيَّته . وصلَّى اللّه على محمد عند ذكره .

وأما بعدُ ؛ فإنَّ اللّه تعالى جعل النِّكَاحَ سُنَّةَ الأنامِ ، وفصلاً بين الحلالِ والحرام ، وإني قد زوجت ابنتي مِنَ الفَضْلِ من عليِّ بن موسى الرضا ، وقد مهرتُها عنه أربعمائة درهم .

وقال المأمون : تمامُ النعمة أن تُسْتَتمَّ بلزوم شُكرِها ، وأوَّلُ منازل الشكرِ ألاَّ يُتَوصَّلَ إلى معصيةِ منعمٍ بفَضل نعمته .

قال أحمدُ بن أبي دُؤادٍ(٢) : قال لي المأمون :

---

(١) علي بن موسى بن جعفر الملقب بعلي الرضا ، ولد سنة ١٤٨هـ ، وتوفي سنة ٢٠٣هـ ».

(٢) أحمد بن أبي دؤاد القاضي ، ولد سنة ١٦٦هـ ، كان محباً للعلم وتوفي سنة ٢٤٦هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا يستطيع الناسُ أن يُنصفوا الملوك من وزرائهم ، ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بينَ ملوكهم وحُماتهم وكُفاتهم ، وبينَ صنائعهم وبطانتهم ، وذلكَ أنَّهم يَرَوْن ظاهرَ حُرمةٍ وخِدمةٍ ، واجتهادٍ ونصيحة ، ويرون إيقاعَ الملوكِ بهم ظاهراً ، حتى لايزال الرجلُ يقولُ : ما أوقعَ به إلاَّ رغبةً في مالِهِ ، وإلاَّ رغبةً فيما لا تجودُ النفوسُ به ، أو لعلَّ الحسدَ والملالةَ ، وشهوةَ الاستبدالِ اشتركتْ في ذلك . وهناك جناياتٌ في صُلْب الملك ، أو في بعض الحُرَمِ لا يستطيعُ الملك أن يكشِفَ للعامة موضعَ العوْرةِ في الملك ، وأن يحتجَّ لتلك العقوبة بما يستحقُّ ذلك الذَّنْبُ ، ولا يستطيعُ تَركَ عقابِه ، لما في ذلك من الفساد على علمه بأنَّ عذره غيرُ مبسوطٍ عند العامة ، ولا معروفٍ عند أكثرِ الخاصَّة . .

ونزل رجلٌ فعَدا بين يديه ، فأشار بيده أنْ حسبُك ؛ فقال له بعضُ من كان بقُربٍ من المأمون : اركبْ . فقال المأمونُ : لا يقالُ لمثلِ هذا : اركبْ ، إنما يقالُ لهُ : انصرفْ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تحدث المأمون يوماً ؛ فضحك إسحاقُ بنُ إبراهيم المُصْعبي(١) ؛ فقال :

يا إسحاقُ ، أَوَهِلْتَ لشُرطَتِي ، وتفتحُ فاكَ من الضحكِ ؟ ، خذُوا سوادَه وسيفه ، ثم قال : أنتَ بالشراب أشبهُ ، ضعُوا منديلا على عاتقه ؛ فقال إسحاقُ : أقِلْني يا أمير المؤمنين . قال : قد أقَلْتُكُ . فما ضحك بعدها .

* * *

المُعْتَصِمُ (٢)

لما أقْطَعَ المعتصمُ أشْنَاساً (٣) ضِياعَ الحسنِ بن سهل، وجَّه الحسنُ بقبالاتها(٤) إلى أشْنَاس، وكتبَ إليه :

---

(١) إسحاق بن إبراهيم المصعبي صاحب الشرطة أيام المأمون — والمعتصم والواثق والمتوكل — كان صارما ، وتوفي سنة ٢٣٥هـ .

(٢) هو محمد بن هارون الرشيد ، ولد سنة ١٧٩هـ ، وتولى الخلافة سنة ٢١٨هـ ، كان شجاعا قويا ، بنى مدينة سر من رأى وبها توفي سنة ٢٢٧هـ .

(٣) أبو جعفر أشناس ، من القواد ، ولاه المعتصم مصر سنة ٢١٩هـ ، اشترك في فتح عمورية ، وتوفي سنة ٢٣٦هـ .

(٤) القبالات : الضمانات والكفالات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قد عرفتُ رَأيَ أميرِ المؤمنينَ في إخلاصِكَ بهذه الضِّياع ، وأحببتُ ألا تعرض على عَقِبك عُقْبَى ؛ فأنفذتُ لك قَبالاتها معتدّاً في قبولِكها بإسباغِ النعمةِ عليَّ ، وادخارِ الشكر لديّ ، ومتقرباً به إلى سيِّدي أميرِ المؤمنين ، فرأيك في الامتنان عليَّ بقبولِها موفَّقاً إن شاء الله .

فلما قرأ الكتابَ أنفذَهُ إلى المعتصمِ ، فوقَّع فيه : ضِيمَ فصبر ، وسُلِبَ فعذَر ، فليقابَلْ بالشكر على صَبرِه ، وبالإحسان على عُذْرِه . وتُرَدُّ عليه ضياعُه ، ويُرفَعُ عنه خَرَاجُه . ولا أُؤامِرُ فيه إنْ شاء الله (١) .

قال كاتبُ العباسِ بنِ المأمون : لما تقلّدَ المعتصمُ الخلافةَ عَرَضتُ له ، فترجَّلتُ . فلما بَصُر بي ، قال : هذا المجلسُ الذي لم تَزَلْ أكْرَهَ الناسِ بحلُولي به . قال : فتحيرتُ ، ولم أدرِ ما أقولُ ، ثُم عنَّ (٢) ليأن قلتُ : يا أميرَ المؤمنينَ ، أنت تعفُو عمَّا تَتَيَقَّنُه .

---

(١) يؤامر في الشيء : يستشار فيه .

(٢) عن له خاطر : عرض له .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكيف تُعاقِبُ على ما تتوهمُه ؟ قال : فقال : لو أردتُ عقابكَ لتركتُ عِتابَكَ .

وكان سبب خروجه إلى « سرَّ مَنْ رأى » (١) أنَّ غلمان الأتراكِ . كثُرُوا ببغداد فتولَّعوا (٢) بحُرم الناس وأولادِهم، فاجتمع إليه جماعةٌ منهم ؛ فقالوا : يا أميرَ المؤمنين ؛ ما أحدٌ أحبُّ إلينا مجاورةً منك ؛ لأنك الإمامُ والمحامي عن الدِّين ، وقد أفرطَ غِلْمَانُك ، فإما منعتَهم منَّا ، وإما نقلتَهم عنَّا . فقال : نقلُهم لا يكون إلا بنَقْلِي ، ولكني أفتقِدُهم ، وأُزيل ما شكوتُم .

فنظر فإذا الأمرُ قد زادَ وعظُم ، وخاف أن يقع بينهم حربٌ ، وعاودُوه بالشكوى ، وقالوا : إن قدَرْتَ على نصَفَتِنا (٣) ، وإلاَّ فتحول عنا . فقال : أتحوَّلُ وكرامةً فرحلَ إلى سُرَّ من رَأى ، واتخذها داراً .

---

(١) سر من رأى : كانت موجودة قبل المعتصم ، واسمها سامبرا ، عمرها المعتصم وسماها : سر من رأى ، وتسمى أيضا سامراء ، وسر من راء ، وهي على نهر دجلة .

(٢) تولع بعرض فلان : قذف فيه .

(٣) النصفة والإنصاف بمعنى واحد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان يقولُ : الفضلُ بنُ مروانَ عَصَى اللهَ – عز وجل – وأطاعني ، فسلَّطني الله عليه .

وذكر أنه كان معه غلامٌ في الكتَّاب يتعلمُ معهُ ، فمات الغلام ، فقال له الرشيد : يا محمد ؛ مات غُلامُك . قال : نعم يا سيدي ، واستراحَ من الكُتَّاب فقال الرشيدُ : وإن الكُتَّابَ ليبلغُ منكَ هذا المبلغَ ، دَعُوه إلى حيث انتهى ، ولا تعلِّمُوه شيئاً ؛ فكان يكتُب كِتاباً ضعيفاً ، ويقرأ قراءةً ضعيفةً .

حُكي عن الفضل بن مروان أنه قال : والله لقد كان المعتصم مُؤَيداً من عند الله في أُموره كلِّها ؛ لقد رَجع يوماً من محاربةِ الروم ، وقد سهر ليلتَهُ وبقي إلى العشاء ، ولم يَطْعَم ولم يَشرب ؛ فدخل إلى المأمون فعرَّفه خَبَرَه ، فبينما هو يخاطبُه إذ صِيحَ : السلاحَ السلاحَ ، واستَفحَل أمرُ الروم ؛ فقال له المأمونُ : ارجع يا أبا إسحاق إلى موضعكَ . فقال : نعم يا أَمير المؤمنين . أَمضي إلى مضربي وأركبُ مِن ثَمَّ (١) ؛ فكأنَّ المأمونَ كره هذا منه ،

(١) ثَمَّ (بفتح الثاء وتشديد الميم) هناك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونكّسَ رأسَه ، واشتدّ عليه تأخيرُه لأمره ، ففطن المعتصمُ ؛ فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إن الله عز وجل يقول : ((كَلاَّ إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أن رآهُ اسْتَغْنَى))(١) والله لقد رأيتُني ومالي من الدوابِّ إلا أربعٌ ، ومن الغلمان إلا أربعةٌ ، وإني لأقفُ على باب الحسَنِ بن سهلٍ سائرَ يومي ، أتمنّى أنْ يأمرَني بأمرٍ أنفذُ فيه ، ولي منْ كُلِّ هذا اليومَ ألوفٌ لتفضُّلِ أميرِ المؤمنين ، وهو يأمُرني بأمرٍ فيه شرَفي فأشترطُ عليهِ . أنا أمضِي من وجهي هذا على هيئتي هذه .

فضحك المأمون وقال : ادنُ إليَّ ؛ فدنا إليه ، فقبّلَ بين عينيه ، ودعا له بالظفر ، وخرج .

* * *

الواثقُ (٢)

قيل : إنه لما مات إبراهيمُ بنُ المهديّ ركبَ المعتصمُ

---

(١) سورة العلق : ٦و٧

(٢) الواثق بالله هارون بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٢٠٠هـ ، ولي الخلافة سنة ٢٢٧هـ ، ومات بسر من رأى سنة ٢٣٢هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى صلّى عليه ، ثم قال للواثق : أقِمْ يا بني حتى تُجِنَّهُ (١) . وقيل : بل لم يُصَلِّ عليه تَجَرُّحاً . وأمرَ الواثق بالصلاة عليه ؛ فسأل عن وصيته ، فوجدَهُ قد أمَرَ بمالٍ عظيمٍ أنْ يُفَرَّق على أولادِ الصحابةِ كلهم ، إلا أولادَ عليٍّ رضيَ اللهُ عنه ؛ فقال الواثقُ : واللهِ لولا طاعةُ أميرِ المؤمنينَ لما وقفتُ عليه ، ولا انتظرتُ دَفْنَه . ثم انصرف وهو يقولُ : يَنْحَرِفُ عن شرفِه وخيرِ أهلِه ! واللهِ لقد دلَّيته في قبرِه كافراً . وأمَرَ فَفُرِّق في وَلَدِ عليٍّ — رضي الله عنه — مالاً فاضلاً ؛ فأصابَ كلَّ رجلٍ منهم ضِعفُ ما أصابَ غيرَهم من وصيته .

نظر الواثقُ إلى أحمد بن الخصيب (٢) يمشي فتمثَّلَ :

مِنَ الناسِ إنسانانِ دَيْنِي عليهما
مَلِيَّانِ لو شاءا لقد قَضَيَانِي

---

(١) تجنه : تستره والمراد : تدفنه وتواريه في القبر

(٢) أحمد بن الخصيب وزير للمنتصر والمستعين ، نفي إلى المغرب ، وتوفي سنة ٢٦٥هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خليليَّ ، أمَّا أمُّ عَمْرٍو فمنهمـــا
وأمَّا عنِ الأُخرَى فلا تَسْلاَنِي (١)

قال : فبلغ ذلك سليمانَ بنَ وهبٍ ؛ فقال : إنَّا لله ، أحمدُ بنُ الخصيبِ أمُّ عمروٍ ، وأنا الأُخْرَى ؛ فنكبَهُمَا بعد أيَّامٍ .

غَنَّى مخارقٌ (٢) في مجلس الواثق :

أظليمُ ، إنَّ مُصَابَكُم رَجُـلٌ
أهدى السَّلامَ بحبكمُ ؟ ظُلْمُ (٣)

فغنّاهُ « رجلٌ » فتابعَهُ بَعضٌ ، وخالَفَهُ آخرُونَ ، فسألَ الواثق عمن بقي من رؤساءِ النحويين بالبصرة ، فذكر له أبو عثْمانَ المازنيِّ ، (٤) قال : فأمر بحَمْلي ،

---

(١) البيتان لابن الدمينه .

(٢) مخارق بن يحيى ، كان مولى ، أعتقه الرشيد ، أحد الحاذقين في الغناء ، وأول من أدخل ألحانا فارسية على النغم العربي مات في خلافة المتوكل ، وقيل في آخر خلافة الواثق .

(٣) البيت للحارث بن خالد المخزومي .

(٤) أبو عثمان بكر بن محمد المازني ، إمام من أئمة النحو بالبصرة له تصانيف كثيرة ، توفي سنة ٢٤٩هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإزاحة علّتي فلما وصلتُ إليه وسلّمتُ قال : ممّن الرجلُ ؟ قلتُ : من بني مازنٍ . قال : أمن مازن قيسٍ ، أم مازن تميم ، أم مازن ربيعةَ ، أم مازن اليمنِ ؟ فقلت : من مازن ربيعةَ . فقال لي : بَااسمُك ؟ يريدُ : مَا اسمُك قال : وهيَ لغةٌ كثيرةٌ في قومنَا ، فقلتُ على القياس : مَكْرٌ ، أي : بكرٌ ، يا أميرَ المؤمنينَ ؛ فضحك وقال : اجلس واطمئنّ . فجلستُ ، فسألَني عن البيتِ ، فأنشدتُه :

أظليمُ ، إنّ مصابَكُم رَجلاً .

فقال : أين خبرُ إنّ ؟ قلت : ظلمُ . أما تَرَى يا أميرَ المؤمنينَ أنّ البيتَ كلّهُ متعلقٌ بهِ ، لا معنىَ لهُ حتّى يتم بهذَا الحرفِ ، إذ قال :

« أظليمُ إنّ مصابَكُم رجلاً أهدى السلامَ إليكم » .

فكأنهُ ما قالَ شيئاً ، حتى يقولَ : ظلم . قال : صدقتَ . ألكَ ولدٌ ؟ قلت : بُنَيّةٌ . قال : فما قالتْ حين ودّعتَها ؟ قلت : أنشدتْ شعرَ الأعشى :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تقولُ ابنتي حينَ جدَّ الرَّحيلُ
أرانا سواءً ومن قدْ يتيمْ
أبانا . فلا رِمْتَ (١) من عندنا
فإنَّا بخيرٍ إذا لم تَرِمْ

قال : فما قلتَ لها ؟ قال : قول جريرٍ :

ثِقي باللهِ ليسَ لهُ شريكٌ
ومِن عِنْدِ الخليفةِ بالنجاحِ

فقال : ثِقْ بالنجاحِ إنْ شاء اللهُ . ثم أمر لي بألفِ دينار وكسوة وطيب .

وكان الواثقُ عالماً بكلِّ شيءٍ ، وله صنعة حسنة في الغناء ، وكان يُسمَّى المأمونَ الصغير ؛ لأدبه وفضله ، وكان المأمونُ يجالسه ، وأبوهُ المعتصمُ واقفٌ . وكان يقول : يا أبَا إسحاق لا تؤدِّب هارونَ ، فإني أرضى أدبَه ، ولا تعترضْ عليه في شيءٍ يعملُه .

* * *

(١) رام عن المكان يريم : تحول .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المُتَوَكِّلُ (١)

قال يزيدُ المهلبي(٢) : أنِسَ بي أميرُ المؤمنينَ في سبعةِ أيامٍ فوق أُنْس محمدٍ (٣) كان بي في سبع سنينَ . فقال : إنما أنستُ بكَ في سبعةِ أيام لأُنسِ محمدٍ كان بِكَ في سبعِ سنينَ .

قيل للمتوكل : لم لا تقلِّد الحسنَ بنَ وهب(٤) ديوانَ الرسائل . قال : أخافُ أن يحيضَ في الديوانِ .

قال عليُّ بن يحيى : تغدَّيت مع المتوكل ، فقُدِّم لونٌ كان اشتهاهُ ، فوجدَ فيه ذُبابةً ، فألقاها وأكلَ ، ثم وجد أُخرى وأُخرى ، فلما رُفع من بينِ يديه قال :

---

(١) المتوكل هو جعفر بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٢٠٦هـ ، وتولى الخلافة سنة ٢٣٢هـ ، وأراد نقل مقرها إلى دمشق ، ولكنها لم تطب له ، فعاد إلى سر من رأى .

(٢) يزيد بن محمد ، من أولاد المهلب ، شاعر ، اتصل بالمتوكل ومدحه ، توفي ببغداد سنة ٢٥٩هـ .

(٣) المراد بمحمد : المنتصر ابن المتوكل

(٤) الحسن بن وهب بن سعيد كاتب شاعر ، كان وجيها سريا ، ومات سنة ٢٥٠هـ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أعيدُوا علينا هذا اللَّونَ غداً ، وليكن أقل ذباباً مما هو اليومَ ! !

قال إبراهيم بن المدبّر(١) ، قال الموكلُ : إذا خرج توقيعي إليك بما فيه مصلحةٌ للناس ، ورفقٌ بالرعية فأنفذه ، ولاتراجعني فيه ، وإذا خرج بما فيه حَيفٌ(٢) على الرعية فراجْعني ، فإنَّ قلبي بيدِ الله عزَّ وجلَّ .

بلغ المتوكلُ أنَّ أحمدَ بن حمدونَ النَّديمَ يحملُ رِقاع الفَتْح إلى خادمِه فائرٍ ، فأعدَّ له حَجّاماً ، وأوصاه بما يريدُ . فلما جلسَ أحمدُ مع الجلساء قال : ياأحمدُ ، ماجزاءُ مَنْ أفسدَ غُلامَ فتىً ؟ قال : تُقْطَع أُذنُه ، فدعا بالحجام فقطَع من أُذُنِه قطعةً ، وإنما قال له هذا لأنه كان يحدثُه كثيراً بحديث الفتيان والعيارينَ ويتنادرُ بذلك بين يدَيه ، ثم نفاه إلى بعداد إلى أن كلمه الفتحُ فيه ، فرضِيَ عنه .

* * *

---

(١) إبراهيم بن المدبر ، شاعر كاتب ، كان المتوكل يحبه ويقربه ، ثم انقلب عليه وحبسه مدة ثم أطلقه . مات سنه ٢٧٠هـ

(٢) الحيف : الظلم والجور .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المُنْتَصِرُ (١)

قال : لذّةُ العفوِ أطيبُ من لذّةِ التشفّي ، وذلك لأنّ لذةَ العفوِ يلحقُها حمدُ العاقبة ، ولذةُ التشفّي يلحقُها ذمُّ النّدَم .

ولما تمت لهُ البيعةُ كان أولَ شيءٍ عمله أن عزلَ صالحَ بن عليٍّ عن المدينةِ ، وولاّها عليّ بن الحسينِ بنِ إسماعيلَ بنِ العباسِ بنِ محمدٍ ، وقال له : إنما وليتُك لتخلُفَني في برِّ آل أبي طالبٍ ، وقضاء حوائجهم ، ورفعها إليّ ، فقد نالتْهُم جفوةٌ ، وخُذْ هذا المالَ ففرّقْه على أقدارهم .

فقال له علي بن الحُسين : سأبلُغُ بعون الله رضا أميرِ المؤمنينَ ، فقال : إذاً تسعدُ بذلكَ عند اللهِ وعندي .

قال بعضهم : سمعتُه يوماً وهو يناظر قوماً : واللهِ لاعَزَّ وَفْرُ باطلٍ ، ولو طَلَعَ من جبينِهِ القَمَرُ ، ولاذَلَّ ذو حقٍّ ، ولو كان العالَمُ عليه .

---

(١) هو محمد بن جعفر المتوكل ، ولد سنة ٢٢٣هـ ، تولى الخلافة بعد قتل أبيه سنة ٢٤٧هـ ، توفي في السنة نفسها بعد ستة أشهر من ولايته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال بعضُهم : سمعتُ بُغا الكبير(١) يقول : مامَشيتُ بينَ يدي خليفة أهيَبَ من المنتصر ، وقد كان مَشْيي بينَ يديْ المأمونِ ، والمعتصمِ ، والواثقِ والمتوكّلِ .

قال أحمدُ بن الخصيب : سمعتُ المنتصر لَمّا عفا عن الشاريِّ(٢) يقول : أحسنُ أفعالِ القادرِ العفوُ ، وأقبحُها الانتقامُ .

* * *

المُسْتَعِينُ (٣)

قيل : لما جيء بكتاب الخلع إليه ، وقيل له : وقع بخطك فيه ، أخذ الكتابَ فابتدأ ابنُ أبي الشَّوارب يُملي عليه ، فقال له المستعين : أمسِكْ عافاك الله ، ثم كتب :

أقرَّ أحمدُ بنُ محمدِ ابنِ أميرِ المؤمنين المعتصمِ بالله : « أنه قد بايعَ أبا عبدِ الله المعتزَّ بالله ، هذه البيعةَ

---

(١) بغا الكبير : أحد قواد الترك ، كان قائدا للمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر ، مات سنة ٢٤٨هـ .

(٢) الشاري : نسبة إلى الشراة ، إحدى فرق الخوارج .

(٣) هو أحمد المستعين بن محمد المعتصم ، ولد سنة ٢٢١هـ ، ولاه الترك الخلافة سنة ٢٤٨هـ ، ثم خلعوه وقتلوه سنة ٢٥٢هـ ، وكان عهده عهد فتن واضطراب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المنسوخةَ في هذا الكتابِ ، مُوجِباً على نَفْسه كلَّ مافيهِ من الشرائطِ المثبتة فيه ، والعهودِ المؤكَّدَة . وأُشْهِدُ الله وملائكته على جميع ذلك ، وأشهدُ مَنْ حضر . وكَفَى باللهِ شهيداً » .

قال : فعجبَ الناس من فهمِهِ وبَلاغتهِ .

وقال له الحسنُ بنُ أبي الشوارب(١) : يا أميرَ المؤمنين ، أشهدُ عليكَ بما في هذا الكتابِ ؟ . قال : نعم خارَ الله لك ياأبا العباسِ .

* * *

المُعْتَزُّ (٢)

قال الزبير(٣) : لما وفدْتُ على المتوكِّل قال لي : ادخل إلى أبي العباس يعني : المعتز فدخلتُ إليه وهو

---

(١) الحسن بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب الأموي قاضي المعتمد ، توفي سنة ٢٦١هـ ،

(٢) المعتز هو محمد بن جعفر المتوكل ، وقيل أحمد ، وقيل الزبير ، ولد بسر من رأى سنه ٢٣٢هـ ، وبايعه الأتراك بالخلافة سنة ٢٥٢هـ ، كثرت الفتن في أيامه ، واضطره القواد أن يخلع نفسه ، وعذبوه حتى مات سنه ٢٥٥هـ .

(٣) الزبير بن بكار أديب أخباري كان قاضي مكة توفي سنة ٢٥٦هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صبيٌّ فحدَّثْتُه وأنشدتُه فسألني عن الحجازِ وأهله ، ثم نهضت لأنصرف فعثرتُ فسقطْتُ ، فقال لي المعتزُّ : يازُبير :

كَمْ عَثْرةٍ لي باللسانِ عثرَتُها
تُفَرِّقُ من بعد اجتماعٍ من الشمْلِ
يموتُ الفتى من عَثْرةٍ بلسانِه
وليس يموتُ المرءُ من عَثْرةِ الرِّجلِ

* * *

المُهْتَدِي (١)

كان يقولُ : لو لم يكنِ الزُّهدُ في الدنيا ، والإيثارُ للحقِّ ، مما لَطُفَ اللهُ تعالى فيهما ، ووفَّقَني لهما ، وإنيِّ أرجو بذلك الفَوزَ يومَ القيامة ، لتَصَنَّعْتُ بما أفعلُهُ للناسِ ، لِئَلا يكونَ مثلُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ في خلفاءِ بني أُمية ، ولا يكونُ في خلفاء بني هاشمٍ بعدهم مثله ، وهم من رسول اللهِ — صلى الله عليه وسلَّم — أقْرَبُ.

(١) هو محمد المهتدي بالله بن هارون الواثق ، ولد سنة ٢٢٧هـ ، وتولى الخلافة سنة ٢٥٥هـ ، كان حميد السيرة زاهدا ، خلعه الترك وقتلوه سنة ٢٥٦هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال بعضهم : سمعتُه يوماً يقولُ لعيسى بن فرخانْشَاه (١) : عاونْ على الخير تَسْلَمْ ، ولاتَجُزْه فتندَمْ . فقيل لهُ : إنَّ هذا بيتُ شعرٍ . قال : ماتعمَّدتُ ذلك ، ولكني رويت قولَ الشاعرِ :

تَعَاوَنْ على الخيراتِ تَظْفَرْ ، ولاتكنْ
على الإثمِ والعُدوَانِ مِمَّنْ يُعَاوِنُ

* * *

المُعْتَمِدُ (٢)

قال محمدُ بنُ عبيد الله بن يحيى بن خاقان(٣) : بعثني أبي إلى المعتمد في شيءٍ ، فقال لي : اجلس . فاستعظمتُ ذلك ، فأعادَ ، فاعتذرتُ بأنَّ ذلك لايجوزُ ،

* * *

---

(١) عيسى بن فرخانشاه ، وزير المعتمد .

(٢) أحمد المعتمد بن جعفر المتوكل ولد سنة ٢٢٩هـ ، وولي الخلافة سنة ٢٥٦هـ طالت أيام ملكه ، وعاونه أخوه الموفق معاونة كبيرة على قهر أعدائه ، ثم استبد بالأمر ، مات سنة ٢٧٩هـ

(٣) محمد بن عبيد الله بن يحيى أبوه وزير المعتمد ، صار محمد بعده وزيراً للمقتدر وكاتبه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال لي : يامحمدُ ، إنّ أدَبك في القبول مني خيرٌ من أدبِكَ في خِلافِي .

وقال يوماً لبعضِ نُدَمائِه : إذا عدمَ أهلُ التفضُّل ، هَلَكَ أهلُ التَجَمُّل .

* * *

المُعْتَضِد (١)

حدَّث العلاءُ بنُ صاعدٍ (٢) قال : لما حُمِلَ رأسُ صاحِب البصرة (٣) ركب المعتضدُ في جيش لم يُرَ مثلُه ، فاشْتَقَّ أسواقَ بغدادٍ ، والرأسُ بين يديهِ ، فلما صرنا بِبابِ الطاقِ (٤) صاح قومٌ من دربٍ من تلك الدروبِ :

(١) أحمد المعتضد بن طلحة الموفق ، ولد سنة ٢٤٢هـ ، أظهر بسالة في الحروب ، تولى الخلافة سنة ٢٧٩هـ وكان مهيبا حازما ، توفي سنة ٢٨٩هـ .

(٢) العلاء بن صاعد أبو عيسى كاتب أديب ، كان يتعاطى علم النجوم .

(٣) صاحب البصرة أو صاحب الزنج على بن محمد ، ادعى أنه علوي سمي بصاحب البصرة لأنه دخلها وذبح كثيراً من أهلها ، وبصاحب الزنج لأن أتباعه منهم ، خرج سنة ٢٥٢هـ ، وقتله الموفق سنه ٢٧٠هـ .

(٤) باب الطاق : محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي منها تعرف بطاق أسماء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رَحِمَ اللهُ معاويةَ . وزادَ حتّى علَتْ أصواتُهم ، فتغيّر وجههُ وقال : أما تسمع ياأبا عيسى ؟ ماأعجبَ هذا ! ماذِكْرُ معاويةَ في هذا الأمرِ ؟والله لقد بلغ أبي الموتَ ، وماأفلتُ أنا منهُ إلاّ بعد مُشارَفته ،ولقينا كل جهد وبَلاءٍ ، حتى أرحناهُم من عدوِّهم ، وحصّنّا حُرَمَهم وأموالهَم . تركوا أنْ يترحّمُوا على العباسِ ، أو عبدِ الله بن العباس ، أو مَن وُلِدَ من الخلفاء ، وتركوا الترحُّمَ على أمير المؤمنين عليٍّ ، وحمزةَ وجعفرٍ والحسنِ والحسينِ ، والله لابرحتُ أو أُؤثّر في تأديب هؤلاء أثراً لا يعاودُون بعدهُ مثلَه .

ثم أمر بجَمْعِ النفّاطين(١) لتحريق الناحية ، فقلتُ : أيُّها الأميرُ ، هذا من أشرفِ أيام الإسلام فلا تُفْسِدْهُ بجهلِ غِلْمَةٍ لا أخلاقَ لهُم ، ولم أزل أداريه وأرفُقُ به حتى سارَ .

لما ولي المعتضد حسُنَتْ آثارُه ، وأمر بالزيادة في

(١) النفاطون : جمع نفاط ، الجندي المتخصص برمي النفط المستعل لإحراق العدو .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسجد الجامع بالمدينة ، وأمر بتسهيل عقبة حلوان(١) . وأنفق عليها نيفاً وعشرين ألف دينار . وأمر بردّ المواريث على ذوي الأرحام . وأخّر النيروز ، واستبدّ(٢) الخراج إلى وقت إدراك الغلاّت ، وعمّر الدّنيا ، وضبط الأطراف ، وأحسن السياسة . وقيل : إنّه أفضت إليه الخلافة وليس في الخزانة إلا سبعة عشر درهماً زائفة ومات وخلّف مايزيد على عشرين ألف ألف دينار.

* * *

المُكْتَفي(٣)

نظر إلى رأس صاحب الزنج ، وقد أخرج إليه من من الخزانة ، فقال : لعنهُ الله ! فإنه عدا على الأنساب(٤) . كما عدا على الأسلاب .

* * *

(١) حلوان : المراد التي بالعراق وعفه حاوان التي بها نخلتا حلون الشهيرتان وقد غرم فيها عشرين ألف دينار ، فسهلها بعد أن كان الناس يلقون منها مشقة عظيمة .

(٢) استبد الخراج . أخر ميعاد تسديده

(٣) المكتفي بالله : هو علي بن المعتضد ، ولد سنة ٢٦٣هـ وتولى الخلافه سنة ٢٨٩هـ تغلب على الثائرين عليه ، وتوفي سنة ٢٩٥هـ .

(٤) المراد : ادعى النسب إلى العلويين وليس منهم . والأسلاب غنائم الحرب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المُقْتَدِر (١)

حُكي أنَّ علي بن عيسى الوزير(٢) كتب عنه كتاباً إلى ملكِ الروم ، فلما عرض عليه . قال : فيه موضعٌ يحتاجُ إلى إصلاحٍ ، فسألوه عن ذلك — وكان قد كتب في الكتاب : « إن قَرُبْتَ من أمير المؤمنين قرُبَ منك ، وإن بعُدْت بعُدَ عنك » — فقال : ماحاجتي إلى أن أقرُبَ منه ؟ اكتبوا : « إن قرُبتَ من أمير المؤمنين قرَّبَك ، وإنْ بعُدت بعَّدَك » .

ولم يُعرفْ للمقتدرِ مثلُ هذا الكلام ، ولامثلُ هذه الفِطْنة ، وقد ذكرناه على ماحُكِيَ ، وهو بكلام غيره من الخلفاء أشبه .

* * *

(١) المقتدر ، هو جعفر بن المعتضد ، ولد سنة ٢٨٢هـ . وتولى الخلافة سنة ٢٩٥هـ ، خلعه الناس وبايعوا المعتز ، ثم خلع المعتز وأعيد هو ثانية ، كثرت الفتن في أيامه ، قتله مؤنس سنة ٣٣٠هـ .

(٢) علي بن عيسى بن داود ، وزير المقتدر ، ولد سنة ٢٢٤هـ ، وولي الوزارة سنة ٣٠٠هـ ، وتوفي سنة ٣٣٤هـ ، وله مؤلفات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرّاضي (١)

لما استوزر ابن البَريدي (٢) ، وهو غائبٌ عن حضرته ، وأجابهُ إلى مقترحاته ، قال الراضي كالآنف من طَرْحِه الوزارة على من يَشْترِطُ فيها : إنّ الوزارةَ قطعةٌ مِنَ الخلافةِ ، وَوَهنها وهْنُ الخلافةِ .

* * *

إبراهيمُ بنُ المهديّ (٣)

كتب إليّ أحمد بن يوسف(٤) الكاتب : لعن الله زماناً أخّرَكَ عمّن لايساوي كلُّهُ بعضَكَ .

وقال محمد بن راشدٍ : سألني إبراهيمُ بنُ المهديّ

---

(١) هو محمد الراضي بن المقتدر بن المعتضد ، ولد سنة ٢٩٧هـ ، وتولى الخلافة سنة ٣٢٢ هـ ، تفككت في عهده الدولة العباسية ، ولم يعد تحت يديه إلا بغداد ، مات سنة ٣٣٩هـ .

(٢) تولى الوزارة للراضي ٣٢٧هـ ، وللمتقي سنة ٣٣٠هـ ، وكانت « واسط » تحت نفوذه ، حارب الحمدانيين ، توفي سنة ٣٣٢هـ .

(٣) إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد ، ولد سنة ١٦٢هـ ، كان أديبا شاعراً حاذقا في الغناء ، خرج على المأمون عندما ولى علي بن موسى الرضا ولاية العهد ، وقد انتصر عليه المأمون ثم عفا عنه ، توفي سنة ٢٢٤هـ .

(٤) أحمد بن يوسف بن القاسم من أشهر كتاب الدولة العباسية تولى ديوان الرسائل للمأمون وتوفي سنة ٢١٣هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن رجلٍ ، فقلت : يساوي فلسَيْن . فقال : زدتَ في قيمته درهمين .

وكتب إليَّ صديقٌ لهُ : لو عرفْتَ فضلَ الحَسَنِ لتَجنّبْتَ القَبيحَ وأنا وإياكَ كما قال زهير (١) :

وذي خَطَلٍ في القولِ يحسَبُ أنَّهُ
مصيبٌ ، فما يُلمِم به فهو قائلُهْ
عبَأْتُ له حلمي ، وأكرمتُ غيرَهُ
وأعرضْتُ عنهُ ، وهو بادٍ مقاتلُهْ

ومن إحسانِ اللهِ إلينا ، وإساءتكَ إلى نَفْسِك أنَّا صَفَحْنَا عمَّا أمكننا ، وتناولتَ ما أعجزكَ .

ولما أُدخِل على المأمون عند الظفَرِ به سَلَّم عليه ، وقال : يا أمير المؤمنين وليُّ الثأرِ مُحكَّمٌ في القِصاص ، والعفوُ أقربُ للتقوى ، ومن مُدَّ له في الأناةِ حَسُنَ عندهُ الذَّنْب ، وقد جعلكَ اللهُ فوقَ كل ذي ذَنْبٍ كما جعل كل ذي ذنب دُونَك ، فإن عاقبتَ فبحقِّكَ ، وإن عفوتَ فبفَضْلِك .

---

(١) زهير بن أبي سلمى ، شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال المأمون : ياإبراهيمُ ، إنّي شاورتُ العباسَ ابني ، وأبا إسحاقَ أخي في أمركَ ، فأشارا عليَّ بقَتْلِكَ إلا أني وجدتُ قدرَكَ فوقَ ذنبكَ ، فكرهتُ القتلَ لِلازمِ حُرْمَتِكَ .

فقال : ياأميرَ المؤمنين ، قد نصح المشيرُ لما جرت به العادة في السياسةِ ، وحياطةِ الخلافةِ إلا أنك أبيتَ أن تطلبَ النصر إلاَّ من حيثُ عُوِّدتَهُ من العفو ، فإن عاقبتَ فلك نظيرٌ ، وإن عفوتَ فلا نظيرَ لَك ، فإن جُرمي أعظمُ من أن أنطِقَ فيه بعذرٍ ، وعفوُ أميرِ المؤمنينَ أجلُّ من أن يَفِيَ به شُكر .

فقال المأمون : مات الحقدُ عند هذا العُذر .

فاسْتَعْبَرَ إبراهيمُ ، فقال المأمون : ماشأنُك ؟ قال : الندمُ ، إذ كان ذنبي إلى مَنْ هذه صِفته في الإنعام عليَّ ، ثم قال : ياأميرَ المؤمنين ، إنه وإن بلَغ جُرمي استحلالَ دمي فحِلْمُ أميرِ المؤمنينَ وفضلهُ يُبلغاني عَفْوَه ، وإنَّ لي لشفعةَ الإقرارِ بالذنب وحقَّ العمومةِ بعد الأبِ فلا يسفُطْ عن كَرَمِك عَمُّك ، ولايقع دون عفوِكَ عندك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال له المأمونُ : لو لم يكن في حقِّ نسبِكَ حقٌّ الصفحِ عنكَ لبلَّغَكَ ماأمَّلْتَ حُسْنُ تَنَصُّلك ، ولطفُ تَوَصُّلك .

ثم أمره بالجلوسِ ، وقال له : ماالبلاغةُ ياإبراهيمُ ؟ قال : أن يكونَ معناكَ يُجَلِّي عن مَغْزاكَ .

فقال المأمون : هذا كلامٌ يشذَّرُ(١) بالذهب ، لقد ذهبَ بهِ وَغَراً(٢) كان في صدري عليه .

* * *

عبدُ الله بنُ المُعْتَزِّ (٣)

كتب إلى بعض إخوانِهِ : لو كنتُ أعلمُ أنك تحبُّ معرفةَ خبَري لم أبخل به عليك ، ولو طمعتُ في

---

(١) يشذر بالذهب : يفصل به .

(٢) الوغر : احتراق الغيظ ، وذهب وغر صدره ، ووغم صدره : زال ما فيه من غل وعداوة .

(٣) عبد الله بن المعتز بن المتوكل ، الشاعر المبدع ، والأديب الناثر ، صاحب كتاب طبقات الشعراء ، ولد سنة ٢٤٧هـ ، بويع بالخلافة سنة ٢٩٦هـ ، وبقي بها يوما واحداً ، ثم خلع وقتل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جوابك لسألتُ عن خبرك ، ولو رجوتُ العُتْبى منك لأكثرتُ عِتابَك ، ولو ملكتُ الخواطرَ لم آذَن لنفسي في ذكرك . ولولا أنْ يضيع وصفُ الشوقِ لأطلتُ به كتابي . ولولا أنَّ عزَّ السلطان يشغلك عني لشغلت به سروري ، والسلام .

وكتب يذمُّ رجلاً : ذكرتَ حاجةَ أبي فُلانٍ المُكْنَى ليُعرفَ ، لاليُكْرَمَ ، فلا وصلَها اللهُ بالنجاح ، ولايَسَّر بابها للانفتاح وذكرتَ عُذراً نَضَحَ(١) به عن نفسه ، فو اللهِ مانضحَ عنها لكنه نَضَحَ عليها(٢) ، وأنا والله أصونُك عنه ، وأنصحُ لكَ فيه ، فإنه خبيثُ النية ، متلقِّفٌ للمعايب ، مُقَلِّبٌ للسانه بالملَق ، شائن(٣) بالتُخلُّق وَجهَ الخُلُق ، موجودٌ عند النعمةِ ، مفقودٌ عند الشِّدة ، قد أنِسَ بالمسألة ، وضَرِيَ(٤) بالرَّد ، فلا تَعُقَّ عقلكَ باختياره ، ولاتوحِش النعمةَ بإذلالها به .

---

(١) نضح عن الشيء : ذب ودفع عنه ، وأصل نضح من رمي السهام .

(٢) نضح عليها : رماها .

(٣) شائن : عائب ، والتخلق : إبداء الإنسان ما ليس من خلقه .

(٤) ضري : تعود .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال ابنُ المعتز : الخضابُ مِنْ شهودِ الزُّورِ .

ولعبد الله بن المعتز آدابٌ مجموعة ، ومواعظُ وحِكَمٌ تمرُّ أكثرها في كلام المتقدمين ، وفيها نوادرُ من كلام أميرِ المؤمنين عليٍّ كرم الله وجهه وغيرِه ، وقد اخترتُ بعضَها ، وأوردته هذا المكانَ ، فمنها :

إعادةُ الاعتذارِ تذكيرٌ بالذنبِ .

في العواقبِ شافٍ أو مريحٌ .

العقلُ غريزةٌ تربيها التجاربُ .

النصحُ بينَ الملأ تقريعٌ .

أقمِ الرَّغبةَ إليك مقام الحُرمةِ بكَ ، وعظِّم نفسك عن التعظُّمِ ، وتطوَّلْ ولا تتطاوَلْ(٢) .

الأملُ رفيقٌ مؤنسٌ ، إن لم يُبْلِغْكَ فقد استمتعتَ به.

لايقومُ عزُّ الغضبِ بذُلِّ الاعتذار .

الشفيعُ جناحُ الطالبِ .

إن بقيتَ لم يَبقَ الهم .

---

(١) التطاول : الاستطالة والترفع ، والتطول : التفضل . والتطول عند العرب محمود ، والتطاول مذموم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاتُنكِحْ خاطبَ سرّك(١) .

من زاد أدبُه على عقلِه كان كالرّاعي الضعيفِ مع غنمٍ كثيرةٍ .

الدارُ الضيقةُ العَمى الأصفَر .

إذا هرب الزاهدُ من الناسِ فاطْلُبْه ، وإذا طلبهم فاهربْ منه .

النَّمّامُ جسرُ الشرِّ .

لا تشِن وجهَ العفوِ بالتّقريع .

إذا زال المحسودُ عليه علمتَ أنّ الحاسدَ كان يحسدُ على غيرِ شيءٍ .

العجزُ نائمٌ ، والحزْم يقظانُ .

منْ تجرّأ للكَ تجرّأ عليك

ماعفا عن الذنبِ مَنْ قرّع به .

أمرُ المكارِه ما لم يُحتَسَب (٢) .

---

(١) أي لا تطلعه على ما يريد من سرك .

(٢) يحتسب : أي ينتظر المثوبة في الآخرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عبدُ الشهوةِ أذلُّ من عبد الرقّ .

لا ينبغي للعاقل أن يطلبَ طاعةَ غيره ، وطاعةُ نفسِه عليه ممتنعة .

الناس نفسان : واجدٌ لا يكتفي ، وطالبٌ لا يجد .

ذُلُّ العَزْلِ يضحك مِنَ تيهِ الولايةِ .

كلما كثُر خزّانُ الأسرارِ ازدادت ضياعاً .

بشِّر مال البخيل بحادثٍ أو وارثٍ .

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الرابع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلام جماعة

من بني أمية

قال سعيدُ بن العاص (١) : لا تمازحِ الشريفَ ؛ فيحقدَ عليك ، ولا الدنيء فيجترىء عليك .

ودخل عمرُو بن سعيد إلى معاوية فقال له : إلى من أَوْصَى بك أبوك ؟ قال : إنَّ أبي أوصى إلي ، ولم يوصِ بي . قال : فبأيِّ شيءٍ أوصاك ؟ قال : أوصاني ألا يفقدَ إخوانُه منه إلا وجهَه . فقال معاوية لأَصحابه : إن ابن سعيدٍ هذا لأَشدق (٢) .

قال عُتبة بن أبي سفيان (٣) لمعلم ولده (٤) : ليكن

---

(١) المراد هنا سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص ، من أجواد العرب وأشراف بني أمية ، توفي سنة ٥٩هـ .

(٢) الأشدق : الواسع الشدق ، كناية عن الفصاحة .

(٣) عتبة بن أبي سفيان أمير مصر

(٤) اسمه : عبد الصمد بن الأعلى الشيباني .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أوّلَ إصلاحِكَ لوالدي إصلاحُ نفسِكَ ؛ فإنّ عيونَهم معقودةٌ بعينِك ؛ فالحسَنُ عندهم ما استحسنتَه ، والقبيحُ عندهم ما استقبحتَه ؛ علِّمْهم كتابَ اللهِ ، وروِّهم من الحديث أشْرَفَهُ ، ومن الشعر أعفَّه ، ولا تُكْرِهْهم على عِلْمٍ فيملُّوه ، ولا تَدَعْهُم فيهجرُوه ، ولا تخرجْهم من عِلْمٍ إلى عِلْمٍ حتى يُتقِنُوه فإنّ ازدحامَ العلم في السَّمْعِ مَضَلَّةٌ للفهْم ؛ وعلِّمهم سِيرَ الحكماءِ ، هدِّدهم بي ، وأدِبهُم دوني ولا تتّكِلْ على عُذرٍ منّي ؛ فإني اتّكلْتُ على كفايةٍ منك .

أطعم أبو سفيان الناس في حجّة الوداع ، فقصَّر طعامُهُ ، فاستعانَ برسولِ الله — صلى الله عليه وسلم — فأعانه بألْفِ شاةٍ ؛ فقال أبو سفيان : بأبي أنتَ وأُمي ؛ لقد حاربناك فما أجْبَنَّاك (١) ، وسألناك فما أبْخلْناكَ (٢).

قال سعيدُ بن العاصِ ؛ موطنان لا أعتذرُ من العِيِّ فيهما : إذا سألْتُ حاجةً لنفسي ، وإذا أكلمتُ جاهلاً .

---

(١) أجبنه : وجده جبانا .

(٢) أبخله : وجده بخيلا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان سعيدُ بن العاص والياً على المدينة من قِبَلِ معاويةَ . وكان معاويةُ يعاقِبُ بينهُ وبينَ مروانَ (١) في ولايتها ، وكان يُغري بينهما ؛ فكتبَ إلى سعيد : أنِ اهدمْ دارَ مَروان ، فلم يهدمها ، وأعاد إليه الكتاب بهدمها ، فلم يفعل ، فعزله ، وولّى مَرْوانَ ، وكتب إليه : أنِ اهدم دارَ سعيد ؛ فأرسل الفَعَلَةَ ، وركبَ ليهدمَها فقال له سعيدٌ : يا أبَا عبدِ الملك ؛ أتهدمُ داري ؟ قال : نعم ، كتبَ إليَّ أميرُ المؤمنين ، ولو كتب إليكَ في هدم داري لفعلتَ . فقال : ما كنتُ لأفْعلَ . قال : بلى ، واللهِ لو كتَب إليكَ لهدمتَها . قال : كلاَّ يا أبَا عبد الملك ؛ وقال لغلامه : انطلِقْ فجئني بكتاب معاوية ؛ فجاء به ، فقال مَرْوان : كتب إليك يا أبَا عثمانَ في هدم داري ، فلم تهدمها ولم تُعلِمني ؟ قال : ما كنتُ لأهدمَ دارَكَ ، ولا أمُنَّ عليك ، وإنما أرادَ معاويةُ أن يحرِّضَ بيننا ؛ فقال مروان : فداكَ أبي وأمي ، أنتَ واللهِ أكثرُ مني رِيشاً (٢) وعقِباً ، ورجع فلم يهدم دارَ سعيد .

---

(١) مروان بن الحكم .

(٢) الريش : الخصب والمعاش والمال المستفاد واللباس الحسن الفاخر والعقب : الأولاد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذكر العتبيُّ : أنَّ معاويةَ بن أبي سفيان أسرَّ إلى عمرو بن عنْبسة بن أبي سفيانَ حديثاً ، قال عمرو : فجئتُ إلى أبي ، فقلت : إنَّ أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثاً ، أفأُحدِّثك بِه ؟ قال : لا ؛ لأنَّهُ من كتَمَ حديثَه كان الخيارُ إليه ، ومن أظْهَرَه كان الخيارُ عليه . فلا تجعلْ نَفْسَك مملوكاً : بعد أن كنتَ مالِكا . فقلت : أو يدخلُ هذا بين الرجل وابنِه ؟ قال : لا ، ولكن أكرهُ أن تُذَلِّلَ لسانَك بإفشاء السرِّ . قال : فرجعتُ إلى معاويةَ ، فذكرتُ ذلك له . فقال : أعتَقَك أخي من رِقِّ الخطأ .

خطب عُتْبةُ بن أبي سفيان الناسَ بالموسم في سنةِ إحدى وأربعينَ ، وعهدُ الناسِ حديثٌ بالفِتنةِ فاستفتح ، ثم قال :

أيُّها الناس ؛ قد ولَّيْنَا هذا الموضعَ الذي يضاعِفُ الله عزَّ وجل للمحسنينَ فيهِ الأَجرَ ، وعلى المسيءِ الوِزْرَ (١) ، فلا تمدُّوا الأَعناقَ إلى غيرنا ، فإنها تنقطعُ

(١) الوزر : الذنب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دُونَنا ، ورُبَّ مُتَمَنٍّ حَتْفَهُ في أمنيتِهِ . اقبلوُا العافية ما قبلناهَا منكم وفيكم ، وإياكم و « لو » ، فقد أتْعَبت من كان قبلَكم ، ولن تُريحَ من بعدكم . أسألُ الله أنْ يعينَ كُلاًّ على كلٍّ .

قالوا : لما استتبَّ الأمر لمعاوية ، قدم عليه عبدُ الله بن عباس ، وهي أولُ قَدْمَةٍ قدمها عليه ، فدخل وكأنه قرحةٌ (١) تَتَبَجّسُ (٢) ، فجعل عتبةُ بن أبي سفيان يُطيلُ النظرَ إلى ابنِ عباسٍ ، ويُقِلُّ الكلام معه . فقال ابنُ عباس : يا عتبةُ ؛ إنكَ لتُطيل النظر إليَّ ، وتُقِلُّ الكلام معي . أَلِمَوْجِدةٍ فدامتْ ، أو لمعتبةٍ فلازالَتْ ؟ قال له عُتْبة : ماذا أبقيْتَ لما لا رأيت ؟ أمَّا طُولُ نظري إليكَ فسروراً بكَ ، وأما قِلةُ كلامي معك فقلَّتُه مع غيرك ، ولو سلَّطْتَ الحقَّ على نفساك لعلمتَ أنه لا ينظر إليك عينُ مُبْغِض .

فقال ابن عباس : أمهيْتَ (٣) يا أبا الوليد ، أمهيت ! لو تحقق عندنا أكثرُ ممَّا ظننَّاه لمحاه أقلُّ مما قلتَ .

---

(١) القريحة والقرح : أول ما يخرج من البئر حين تحفر .

(٢) تتبجس : تتفجر

(٣) أمهيت . بلغت ما تريد ، وأصله : بلغ الماء في حفره .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فذهب بعضُ من حضر أن يتكلم ، فقال معاوية : اسكتْ . وجعل معاوية يصفق بيديه ويقول :

جَنْدَلتانِ اصطَكَّتا (١) اصْطِكَاكا

دعوتُ عركاً إذ دعَوْا عِرَاكا

إنَّ الداخل بين قريش لحائنٌ (٢) نفسه .

وقال سعيدُ بنُ العاصِ : قَبَّحَ اللهُ المعروفَ إذا لم يكن ابتداءً من غير مسألةٍ ، فأمَّا إذا أتاك ترى دمَه في وجهه ، مُخاطِرا لايدري أتُعطيه أم لا ، وقد بات ليلتَه يتَململُ على فراشه ، يُعاقب بين شِقَّيه ، مرةً هكذا ، ومرةً هكذا ، مَنْ لحاجته ، فخطرتُ ببالِه أنا وغيري ، فَمَيَّلَ (٣) أرجاهم في نفسه ، وأقربهم من حاجته ، ثم عزم عليَّ وترك غيري ، فلو خرجتُ له مما أملكُ لم أكافِهِ (٤) ، وهو عليَّ أمَنٌّ مني عليه .

---

(١) الجندلة : الصخرة و« جندلتان اصطكتا » مثل يضرب للقرنين يتصاولان .

(٢) الحائن : الهالك . أي أتاه الحين : وهو الهلاك .

(٣) ميل بين أمرين : تردد ، ثم اختار أنفعهما له .

(٤) لم أكافه : لم أكافئه ، وكافأ وكافى بمعنى واحد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قالوا : لمّا وُلّي عبدُ العزيز بنُ الوليد بنِ عبدِ الملك(١) دمشقَ ، ولم يكن في بني أُميةَ أَلَبُّ(٢) منه في حداثةِ سِنِّه ، قال أهلُ دمشقَ : هذا غُلام شابٌّ ، ولاعلمَ له بالأمور ، وسيسمعُ منا ، فقام إليه رجلٌ فقال : أصلحَ الله الأمير ، عندي نصيحةٌ . قال له : ليت شعري ماهذه النصيحةُ التي ابتدأْتني بها ، من غير يدٍ سبقَتْ منّي إليك ؟ قال : جارٌ لي عاص مُتخلِّفٌ عن ثغر(٣) . فقال له : مااتقيتَ الله ، ولاأكرمتَ أميرك ، ولاحفظت جِوارَكَ . إن شئتَ نَظَرْنا فيما تقولُ ، فإن كنتَ صادقاً ينفعكَ ذلك عندنا ، وإن كنتَ كاذباً عاقبناك . وإن شئتَ أقلْناك . قال . أقِلْني . قال : اذهبْ حيثُ شئتَ لاصَحِبَكَ اللهُ . إني أراك شرّ جبلٍ(٤) رجلاً .

---

(١) عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، ولي نيابة دمشق لأبيه وغزا الروم سنة ٨٩٤ .

(٢) ألب اسم تفضيل من لب : صار ذا لب .

(٣) عن ثغر . عن حرب العدو . والثغر : الموقع على الحدود مع العدو .

(٤) الجبل . كل صنف من الناس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم قال : ياأهلَ دمشق ، أمَا أعظمتُم ماجاء به الفاسقُ ؟ إن السعايةَ أحسبُ منهُ(١) — سجيَّةٌ ، ولولا أنه لاينبغي للوالي أن يُعاقِب قبل أن يُعاتِبَ كان لي في ذلك رَأيٌ ، فلا يأتيَنَّني أحدٌ منكم بسعايةٍ على أحدٍ بشيء ، فإنَّ الصادقَ فيها فاسقٌ ، والكاذبَ فيها بهَّاتٌ(٢) .

* * *

(١) المعنى : إني أظن أن السعاية طبيعة فيه .

(٢) البهات : صيغة مبالغة من بهته : إذا قال عنه ما ليس فيه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الخامس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نكت لآل الزبير

قدم فَضالةُ بنُ شَريكٍ (١) ، على عبد الله بن الزبير ، فقال : إني سِرتُ إليكَ الهواجرَ(٢) ياأميرَ المؤمنين . قال : ولِمَ ؟ أما كان لكَ في البَرْدَين(٣) ماتسيرُهما ؟ كأنك تبادرُ نَهْساً ، لاأبالكَ ، فقال : إنّ ناقتي قد نُقِبَ(٤) خُفُّها فاحملني . قال : ارقَعها بجلد ، واخصِفْها بهُلْب(٥) ، وأنْجد بها(٦) ، وسرْ بها

---

(١) فضالة بن شريك الأسدي ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام .

(٢) الهواجر جمع هاجرة ، وهي وقت اشتداد الحر في الظهيرة .

(٣) البردان : الغداة والعشي لبرود الجو فيهما .

(٤) نقب الخف : رق .

(٥) الهلب : الشعر أو خصلة منه .

(٦) أنجد بها : سر بها في النجد ، وهو ما غلظ وارتفع واستوى من الأرض .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البُرْدَين . قال : إنما أتيتك مُستَحمِلا(١) ، ولم آتِك مُستَوصِفا ، لعنَ الله ناقةً حملتْني إليكَ . قال : إن(٢) وراكبَها ، فانصرفَ وهجاهُ بالأبيات التي يقول فيها :

أرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ(٣)
نَكِدْنَ ، ولاأُمِيَّتَهُ في البلادِ(٤)

كان مُصْعَبٌ(٥) يقول : المرأةُ فراشٌ فاستَوثِروا .

نازع ابنُ الزبير مَرْوانَ في مجلس معاوية ، فرأى أنَّ ضَلْعَ(٦) معاويةَ مع مروانَ . فقال : ياأمير المؤمنين . إنَّ لك حقّاً وطاعةً علينا ، وإنَّا سِطَةٌ(٧) وحرمة ، فأَطِعِ الله يُطِعْكَ ، فإنه لاطاعةَ لكَ علينا إلاَّ في حقٍّ

---

(١) مستحمل : طالب منه أن يحمله .

(٢) إن : نعم

(٣) أبو خبيب : كنية ابن الزبير ، يقولها له من يمدحه ، أما من يمدحه فيكنيه أبا بكر .

(٤) نكد الزمان : ضاق واشتا

(٥) مصعب بن الزبير : أمير وقائد من قواد أخيه ، ولد سنة ٢٦ هـ .

(٦) ضلع معاوية مع مروان : ميله معه .

(٧) السطة : مصدر وسط ، ووسط القوم كناية عن الرفعة والشرف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الله ، ولاتُطْرِقْ إطراقَ الأفْعُوانِ(١) في أُصول السَّخَّبر(٢) .

وقال له مرةً : يامعاوية ، لاتدعْ مَرْوانَ يرمي جماهيرَ(٣) قريشٍ بمشاقِصه (٤) ويضربُ صَفَاتهم(٥) بمعْوَلِه ، لولا مكانُك لكان أخَفَّ على رقابنا من فَراشَة ، وأقلَّ في أنفسنا من خَشَاشة (٦) ، وايمُ اللهِ لئنْ مَلَكَ أعنَّة خيلٍ تَنْقادُ له ليركبَنَّ منك طَبَقاً (٧) تخافُه .

فقال معاوية : إنْ يطلبْ هذا الأمرَ فقد طَمِعَ فيه منْ هو دونَه وإن يَتركْهُ يتركْهُ لمَنْ فوقَه ، وماأراكُم بمُنْتَهِينَ حتى يبعثَ اللهُ عليكم مَنْ لايعطِفُ عليكم

---

(١) الأفعوان : ذكر الأفاعي ، شبهه به لأنه يطرق عند نفث السم .

(٢) السخبر : الشجر .

(٣) الجماهير : جمع جمهور ، وهو معظم الناس .

(٤) المشاقص : جمع مشقص وهو ما طال وعرض من النصال والمراد : لا تدعه يصيبهم بالأذى .

(٥) الصفاة : الحجر الأملس .

(٦) الخشاشة : واحدة الخشاش وهو الهوام .

(٧) الطبق : جمع طبقة ، وهي منزلة فوق منزلة ، والمعنى : ليركبن منك أحوالا ومنازل في العداوة مخوفة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بقَرابةٍ ، ولايذكرُكُم عند مُلِمَّةٍ ، ويسومُكم(١) خَسْفاً(٢) ، ويوردُكُم تَلَفاً .

قال ابنُ الزبير : إذاً والله نطْلِقُ عِقالَ الحَرب ، بكتائب تمورُ كرجل الجراد(٣) ، تتبعُ غِطريفاً(٤) من قريش لم تَكُنْ أُمَّه براعية ثَلَّة(٥) .

قال معاويةُ : أنَا ابنُ هند ، أطلقْتُ عِقالَ الحربِ ، فأكلتُ ذَروة السَّنام ، وشَربتُ عَنْفوانَ المَكْرَعِ(٦) . وليس للآكلِ إلاَّ الفِلْذَةُ(٧) ، وللشاربِ إلا الرَّنْقُ(٨) .

لِيمَ مُصعَبُ بنُ الزُّبيرِ على طُولِ خُطبتِه عَشيةَ عَرَفَة ، فقال : أنا قائمٌ وهم جلوسٌ وأتكلم وهم سكوتٌ ويضجرون ! .

---

(١) سامه الأمر : ألزمه إياه قسرا

(٢) الخسف : القهر والإذلال .

(٣) رجل الجراد : القطعه التي قوى بعضها بعضا

(٤) الغطريف : السيد .

(٥) راعية ثلة : راعية الغنم .

(٦) عنفوان المكرع : أوله وهو أصفى ما يكون .

(٧) الفلذة : القطعه من الكبد أو السنام

(٨) الرنق : الكدر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكان عبدُ الله بن الزّبير يقول : لاعاش بخيرٍ من لم يرَ برأيه مالم يرَ بعينه .

قال عروةُ(١) بنُ الزبير : التواضعُ أحدُ مصايدِ الشّرَف .

لما قال عبدُ الله بن الزبير : أكلتم تَمْري ، وعصيتُم أمري . قال فيه الشاعر :

رأيتُ أبا بكرٍ — وربِّكَ غالبُ
على أمره — يبغي الخلافةَ بالتمرِ

قال عمرُ بن شبَّة(٢) : وقف ابنُ الزبير على باب ميَّةَ ، مولاةٍ كانت لمعاويةَ . تُرفَع حَوائجُ الناس إليها . فقيل له : ياأبا بكر تقفُ على باب ميَّةَ ! قال : نعم . إذ أعْيتكَ الأمورُ من رؤوسها فأتتها من أذنَابها .

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام ، أحد الفقهاء العظماء ، كان صالحا كريما عالما بالدين ، ولد سنة ٢٣ هـ ، وتوفي سنة ٩٧هـ .

(٢) عمر بن شبة : شاعر راوية مؤرخ محدث ، ولد سنة ١٧٢هـ . وتوفي سنة٢٦٢هـ ، وله مؤلفات .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال عُروة : لعهدي بالناس ، والرجل منهم إذا أراد أن يسوءَ جاره سأل غيرَه حاجتَه ، فيشكوهُ جارُه ، ويقول : تَجاوزني بحاجتِه ، أراد بذلك شَيْني(١) .

لما أتى عبدَ الله بنَ الزبير قتلُ مُصعبٍ ، خَطَبَ الناسَ ، فحَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال :

إنه أتانا خبرُ مَقْتَلِ المُصْعَبِ فسُررنا واكْتَأَبْنَا ، فأمّا السرورُ فلما قُدِّر له من الشهادة ، وخُيِّر لهُ من الثواب ، وأمّا الكآبةُ فلوعةٌ يَجدُها الحميمُ لِفراق حَميمه . وإنّا والله لانموتُ حَبَجاً(٢) كميتةِ آل أبي العاص(٣) ، إنما نموتُ قَتْلاً بالرماح ، وقَعْصاً(٤) تحتَ ظِلالِ السيوف ، فإنْ يهلكِ المُصعبُ فإنّ في آلِ الزبيرِ خَلَفاً .

وقال لما أتاه قَتْلُه : أشَهِدَهُ المُهَلَّبُ ؟ قالوا : لا .

---

(١) الشين : العيب .

(٢) الحبج : أن تنتفخ بطون الإبل من أكلها العرفج ، وقد تموت من ذلك .

(٣) والمراد أنه يعيب عليهم إقبالهم على المطاعم والشهوات .

(٤) مات قعصاً : إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانَ المهلَّبُ في وجوهِ الخوارج . قال : أفَشَهِدَهُ عَبَّادُ بنُ الحُصَيْنِ الحَبطي(١) ؟ قالوا : لا . قال : أفشهدهُ عبدُ الله بنُ خازم السُّلَمي(٢) ؟ قالوا : لا . فتمثل عبدُ الله بن الزبير :

فَقُلتُ لها عِيشي جَعَارِ(٣) ، وَجَرِّري
بلحمِ امرىءٍ لم يشهدِ اليومَ ناصرُهْ

خَرج عُروةُ بنُ الزبير إلى الوليدِ ، فوَطِيءَ عَظْماً ، فلم يَبْلُغْ دمشقَ حتى ذُهِبَ به كلَّ مَذْهبٍ ، فجمعَ الوليدُ الأطباءَ ، فأجمع رأيُهم على قَطْعِها . فقالوا له : اشربْ مُرْقِداً(٤) ، فقال : ماأحبُّ أنْ أغفُلَ عن ذِكْرِ الله ، فأُحْمِيَ له مِنْشارٌ ، وكان

---

(١) عباد بن الحصين بن يزيد الحبطي ، فارس بني تميم ، ولي شرطة البصرة لابن الزبير .

(٢) عبد الله بن خازم بن أسماء السلمي ، ولي إمرة خراسان لبني أمية .

(٣) جعار : اسم للضبع أصله جاعرة ، وعيشي جعار : مثل يضرب إذا أتت الضبع الغنم وغاب الحارس .

(٤) المرقد : شراب يشربه الرجل فينام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قَطْعاً وحَسْماً(١) ، فما تَوَجّعَ ، وقال : ضعوها بين يديّ ، لئن كنتُ ابتُليتُ في عضو لقد عُوفيت في أعضاء .

فبينا هو على ذلك أتاه نَعيُ ابْنِه محمدٍ ، وكان قد اطّلَعَ من سَطحٍ على دوابٍ للوليد ، فسقط بينها فخَبَطَتْه فقال عروةُ : الحمد الله ، لئن أخذتَ واحداً لقد أبقَيتَ جماعةً ، ولئن ابتَلَيْتَ في عضو لقد أبقيتَ أعضاءً .

حدّث وهبٌ مَوْلى آلِ الزبير أنه قال : كنت مع عبد الله بن الزُّبير بمكة في ولايته ، فكتب إليه رجل كتاباً يعطه فيه :

أما بعدُ ، فإنّ للتقوى في أهلها علامات يُعرفون بها ، ويعرِفونَها من أنفسهم ، مِنْ صَبرٍ على البلاء ورِضىً بالقَضاءِ . وشُكْرٍ للنِّعمةِ ، وذلٌّ لحُكمِ القرآنِ ، وإنما الإمامُ كالسُّوقِ . يُحمل إليها مازَكا(٢) فيها ، فمن كان مِن أهل الحقِّ أتاهُ أهلُ الحق بحقِّهم ،

(١) المعنى : وكان القطع قطعا حسما . والحسم هو الكي بعد القطع حتى لا ينزل الدم .

(٢) زكا : طهر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن كان من أهلِ الباطل أتاه أهلُ الباطل بباطلهم ، فانظر أيّ الإمامين أنت . والسلام .

قال : فكان عبدُ الله يعجب من بلاغةِ هذه الرسالة وإيجازها ، ويضعُها تحتَ فراشه ، ويتَعاهدُ قراءتَها .

كان لعبد الله بنِ عروة مَولاةٌ يُقال لها : شُهْدة ، ففزعتْ ليلاً ؛ فسمعها تقول : اللهمَّ إنْ أحسنتُ فأحسنْ إليَّ ، وإن أسأتُ فأسِيءْ إليَّ . فقال : أيْ شَهادُ . عَتَقَ ما يَملكُ (١) إن لم يكنْ هذا أقلَّ مالكِ عندْ ربِّك .

قال عبد الله بن عُروة بن الزبير : إلى الله أشكُو عيبي مالا أدعُ ، ونَعْتِي مالا آتي ، وإنما يُبْكَى للدنيا بالدين .

نازع عبد الله بن الزُّبير أخاه عَمْراً (٢) ، والأمرُ بالمدينة سعيدُ بن العاص ، فاستعْلى عبدُ الله في القول ؛ فأقبل سعيدٌ على عمرو ، فقال : إيهاً يا بنَ أبي ؛ فأقبلَ

(١) وعتق لما يملك حملة دعائمه ؛ فوحده وناداها بشهاد بدليل ما ومعنى : شهدة في الأصل العسل ، وجمعه سهاد .

(٢) عمرو بن الزبير بن العوام ، كان شديد العارضة ؛ قويا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليه عبدُ الله ، فقال : هيهاً يا بنَ أبي أُحيحة (١) ، فو الله لأنا خيرٌ منك . ولأبي خيرٌ من أبيك : ولأُمّي خيرٌ من أمّك ، ولخالي خيرٌ من خالك ، ولجدّي خيرٌ من جدّك . ثُمّ ، اللهُ رفع بالإسلام بيوتاً ووضع به بيوتاً ، فكان بيتي من البيوت التي رفع ، وكان بيتُك من البيوت التي وضَع ، وإنْ خنَس (٢) أنفُك ، وانتفخت لغاديدُك (٣) .

اختصم رجلان في حدّ بينهما بالأعوص (٤) ، فتهاتَرا وتخاصمَا ، فأتَيَا الزّبيرَ بنَ هشامِ بنِ عُروةَ (٥) ، وجعلاه حكَماً بَينهما . قال : فقال لهما : كان رجلان من بني إسرائيل اختصما في أرضٍ ، فأذِنَ اللهُ للأرض ، فكلّمتْهما فقالت : لقد ملكِني سبعون أعورَ ، وليس

---

(١) وأبو أحيحة : هو سعيد بن العاص ، جد سعيد هذا ، توفي سنة ٣٥هـ ، وهو مشرك .

(٢) خنس : من الخنس ، وهو تأخر في الأنف مع ارتفاع قليل في أرنبته .

(٣) اللغاديد : جمع لغادود : لحمة في الحلق .

(٤) الأعوص : موضع قرب المدينة على أميال يسيرة منها .

(٥) الزبير بن هشام بن عروة محدث ثقة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منهمُ الآن أحدٌ على ظَهْرِ الأَرض . قال : فتفرَّقَا . وقال كل منهما : لا حاجة لِي بها ، وترادَّاها .

قيل لعُروَة الزبيريِّ حين حُمل إلى الرشيد مُقَيَّداً : اختضبْ (١) . فقال : حتى أعلم أرَأْسِي لي أم لكم ؟ فأُدخل عليه في سِلْسِلَةٍ ، فقال : كنت أشتهي أن أراك فيها ، اخلعُوا عليه . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ خلعةَ شتاءٍ لا خلعةَ صَيف .

* * *

(١) اختضب : صبغ شعره بالحناء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب السادس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نوادر أبي العيناء (١) ومخاطباته

حَمَلَه بعضُ الوزراءِ على دابّةٍ ، فانتظَر علَفَها ، فلما أبطأ عليه قال : أيها الوزير هذه الدابّةُ حَمَلْتَنِي عليه أو حملتَهُ عليَّ (٢) .

قال : وقال لي يوماً : لا تكثُر الوقيعةَ في الناس . فقلتُ : إنَّ لي في بصري شغلاً عن ذلك . فقال : ذاك أشد لحقْدِك على أهل العافية .

وقال له يوماً المتوكلُ : إنَّ سعيدَ بنَ عبدِ الملك

---

(١) محمد بن القاسم ، كنيته أبو العيناء ، ولد سنة ١٩١هـ ، هاشمي بالولاء وأديب فصيح ، اشتهر بنوادره ، كاتب شاعر ، ولكنه خبيث اللسان . كف بصره في الأربعين ، وتوفي بالبصرة سنة ٢٨٧هـ .

(٢) الدابة تطلق على المذكر والمؤنث .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يضحكُ منك ، فقال : (إنَّ الذين أجرَمُوا كانوا منَ الَّذين آمَنُوا يَضْحكُونَ) (١) .

وقال يوماً بحضرته لِخُراشةَ : ابنْ كَمْ أنتَ ؟ قال : ابن نَيِّفٍ وخمسين . قال أبو العيناء : زَانيةً .

ودخل يوماً إلى ابنِ ثَوَابةَ (٢) ؛ فقال : بلغني ما خاطبتَ به أمس أبا الصَّقرِ (٣) ، وما منعه من استقصاءِ الجوابِ إلا أنَّه لم يجد عِرْضاً فيضعَه ، ولا مجداً فيهدمَه ، وبعدُ فإنه عافَ لحمَكَ أنْ يأْكله ، وسَهِلَ (٤) دمَكَ أن يسفِكَه . فقال : ما أنتَ والكلام يا مُكدي (٥) ؟ فقال أبو العيناء : لا تنكر على ابن ثمانين ، وقد ذهبَ بصرُه ، وجفاه سلطانُه ، أنْ يعوِّلَ على إخوانه ، فيأخذَ من أموالهم ، ولكن أشدّ من هذا من يستنزلُ ماءَ أصلابِ

---

(١) سورة المطففين : ٢٩ .

(٢) أحمد بن محمد بن ثوابة من الكتاب في العصر العباسي ، وكان كاتب الرسائل لمعزالدولة . توفي سنه ٣٤٩هـ .

(٣) أبو الصقر : هو إسماعيل بن بلبل ، وزير ، كان صديقاً لابن المدبر .

(٤) سهل : استقذر رائحته .

(٥) المكدي : الشحاذ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرجال ، يستفرغُه في جَوفه ، فيقْطَعُ أرزاقَهم ، ويُعظِم إجرامهم

فقال ابنُ ثوابة : ما تشاجر اثنان إلاّ غلب ألأَمُهما . فقال له : ما عابتَ أبا الصقر .

وقال ابن ثوابة يوماً : كَتَتُ (١) أنفاسَ الرجال قال : حيثُ كانوا وراءَ ظَهْرِكَ .

وقال له يوماً نجَاحُ بن سَلَمة (٢) : ما ظهورُكَ وقد خرجَ توقيعُ أميرِ المؤمنينَ في الزنادقة ؟ فقال : نستدفعُ اللهَ عناكَ وعن أصهارِك .

ودخل على عُبيدِ الله بنِ عبدِ اللهِ بنِ طاهر (٣) وهو يلعبُ بالشَطْرنج ، فقال : في أي الحيِّزين أنْتَ ؟ فقال (٤) : في حيِّز الأَمير أبده الله .

---

(١) كتت أنفاس الرجال جمعتها .

(٢) نجاح بن سلمه كان على ديوان الصباغ، ثم ديوان التوقيع والتتبع على العمال للمنوكل .

(٣) عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي ، ولد سنة ٢٢٣هـ ، أمير سجاع محب للأدب، ولى شرطة بغداد ، وكان له ولع بالهندسة والموسيقا توفي سنه ٣٠٠هـ

(٤) المراد مع أي اللاعبين أنت .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وغُلب عبيدُ الله فقال : يا أبَا العيناء ؛ قد غُلبنا ، وقد أصابك من النَّدب (١) خمسون رطْلاً ثلجاً . فكن أنتَ في حيلتها . قال : فقام ومضى إلى ابن ثوابة ، وقال : إن الأمير يدعوك ، فلما دخلا قال : أيَّد اللهُ الأَميرَ ، قد جئتُك بجبل هَمَذان ومَا سَيَذان (٢) ، فُخذْ منه ما شئتَ .

وقال يوماً لولد حجاج بن هارون : في أي بابٍ أنت من النحو ؟ قال : في باب الفاعل والمفعول . فقال : أنتَ في باب أبويكَ إداً .

ومرَّ على دار عدوٍّ له ، فقال : ما خبَرُ أبي محمد ؟ فقالوا : كما تحبُّ . قال : فما بالي لا أسمعُ الرنّة والصُّراخَ ؟ .

ووعده ابنُ المدبِّر (٣) بدَابَّةٍ ، فلما طالبه قال :

---

(١) ندب : الندب والسبق ما يوضع في الرهان فمن سبق أخذه .

(٢) ماسيذان ، موضع على يمين حلوان في العراق .

(٣) ابن المدبر : هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر ، وزير من الكتاب المترسلين من أهل بغداد ، استوزره المعتمد سنة ٢٦٩هـ ، وتوفي سنة ٢٧٩هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أخافُ أنْ أحملَك عليه فتقطعَني ولا أراك . فقال : عِدْني أن تضُمّ إليه حماراً لأواظبَ مُقْتضيا (١)

ووعده أنْ يحمله على بَغْل ، فلقيهُ في الطريق ؛ فقال : كيف أصبحت يا أبا العناء ؟ قال : أصبحتُ بلا بَغْلٍ ، فضحكَ من قوله ، وبعثهُ إليه .

وحمله بعضُهم على دابّةٍ ، فاشتَراها ابنُ الرجلِ منهُ بثمنٍ أخسَّره ، ولقيه بعدَ أيام ؛ فقال : كيف أنتَ يا أبا العيناء ؟ قال : بخيرٍ يا مَنْ أبُوه يحملُ وهو يُرْجِل .

وقالت له قَيْنَةٌ (٢) : هَبْ لي خاتمَكَ أذكرْكَ به . فقال : اذكُريني بالمنْع .

وقالت له قَيْنَةٌ : أنتَ أيضاً يا أعمى ! فقال لها : ما أستعيرُ على وجهك بشيءٍ أصلحَ من العمى .

وقال له ابن السِّكّيت (٣) يوماً : تُراكَ أحطتَ

---

(١) معالباً بما وعدت

(٢) القينة الجارية المغنية .

(٣) ابن السكيت : هو يعقوب بن اسحق ، من علماء الفقه واللغة والشعر والأدب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بما لم أُحِطْ به . قال : ما أنكرتَ ؛ فو الله لقد قال الهدهُدُ ، وهو أخسُّ طائرٍ لسليمانَ : (أحَطْتُ بمَا لم تُحِطْ به)(١) .

وقال : وقُدِّمَ إلى مائدةٍ عليها أبو هفّان (٢) وأبو العيناء — فالوذَجٌ (٣) ، فقال أبو هفّان : لهذه أحرَمن مكانك في جهنم . فقال أبو العيناء : إن كانت هذه حارّةً فبرِّدْهَا بِشِعْرِكَ .

وقال له صاعدٌ يوماً : ما الذي أخَّرَكَ عنا ؟ قال : بُنَيَّتي قال : وكيفَ ؟ فال : قالت : يا أبَهْ ؛ قد كنتَ تغدُو من عندنا فتأْتي بالخِلعة السَّريَّة ، والجائزة السنيَّة ، ثم أنْتَ الآن تغدُو مُسْدِفاً (٤) ، وتَرجعُ مُعتماً ، فإلى من ؟ قلت : إلى أبي العلاء ذي الوزارتين .

---

(١) سورة النمل : ٢٢ .

(٢) أبو هفان : هو عبد الله بن أحمد المهزمي ، راوية ، شاعر ، أديب أخذ عن الأصمعي ، كان منهتكا فقيرا ، وله تصانيف بعضها مطبوع .

(٣) الفالوذج : نوع من الحلوى

(٤) السدف : الظلمة والليل . وأعتم . أبطأ وتأخر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قالت : أيُعطيكَ ؟ قلتُ : لا . قالت : أيُشَفِّعك ؟ قلت : لا ، قالت : أفيرفَع مَجلسَك ؟ قلت : لا . فقالت : يا أبَهْ ، ((لِمَ تَعبُدُ مَالاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عنْكَ شَيئاً)) (١) .

وقال له عُبيدُ الله بن سُليمان (٢) : إنَّ الأَخبارَ المذكورةَ في السخاءِ وكثرة العطاء أكبرُهُا تصنيفُ الورَّاقين ، وأكاذيبُهم . قال : ولِمَ لا يكذبون على الوزير أيَّده الله .

وقال له محمد بنُ مُكَرَّم (٣) : لهممتُ أنْ آمر غلامي بدَوْسِ بطنك . فقال : الذي تخلفه على عيالك إذا ركبتَ ، أو الذي تحمله على ظهرك إذا نزلتَ ؟

وقال يوماً لرجل سلَّمَ عليه : من أنتَ ؟ . قال : رجلٌ من ولدِ آدم . قال : ادنُ مني عانِقْني ، فما ظننتُ أنه بقِيَ من هذا النَّسلِ أحَد .

---

(١) سورة مريم : ٤٢

(٢) عبيد الله بن سليمان بن وهب ، كاتب في العصر العباسي ، ولد سنة ٢٢٦هـ ، استوزره المعتمد والمعتضد وتوفي سنة ٢٨٨هـ .

(٣) كان مشهورا في بغداد بالعلم والادب ، توفي سنه ٢٣١ هـ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال له أحمدُ بن سعيدٍ الباهليّ : إني أصبتُ لباهلةَ فضيلةً لاتُوجَد في سائر العرب . قال : وماهي ؟ قال : لايُصابُ فيهم دَعيّ . فقال : لأنه ليس فوقَهُم من يقْبلُهم ، ولادُونَهم أحدٌ فينزلُون إليه .

وحضره يوماً ابنُ مكرَّم فأخذَ يُؤذيه ، فقال له ابنُ مكرَّم : الساعةَ والله أنصرفُ . فقال : مارأيتُ من يتهدَّدُ بالعافية غيرَك .

وقال له يوماً مايُعَرِّض به : كم عَددُ المُكْدينَ(١) بالبصرة ؟ قال : مثلُ عدد البغَّائين ببغداد .

وقدم ابن مكرَّم من سفر ، فقال له أبو العيناء : ماأهديتَ لي ؟ . قال : قدمتُ في خُفٍّ . قال : لو قدمتَ في خفٍّ لخاطَمْتَ نفسكَ .

وقال له ابن مكرَّم : مذهبي الجمعُ بين الصَّلاتَين . قال : صدقتَ ، ولكن تجمعُ بينهما بالتَّرك .

وقال له ابنُ بدْرٍ(٢) يوماً وهو على بابه : أهذا

(١) المكدين : جمع مكدي ، وهو المتسول السائل الملح .

(٢) هو أحمد بن بدر الشرابي كانت إليه الشرطة زمن الراضي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المنزل ؟ قال : نعم ، فإن أردتَ أنْ ترى سوءَ أثرِكَ فانزِل .

قال له أبو الجمّاز : كيف ترى غِنائي ؟ . قال : كما قال الله عزّ وجل : (إنّ أنكرَ الأصواتِ لَصَوتُ الحميرِ) (١) .

ودخل إلى المتوكّل ، فقدّم إليه طعام ، فغمسَ أبو العيناء لقمته في خَلٍّ كان حامضاً ، فأكلها وتأذّى بالحموضة ، وفطن المتوكل فجعل يضْحك ، فقال : لاتلمني ياأمير المؤمنين ، فقد مَحتِ الإيمان من قَلْبي .

وقال له السَّدْرِيّ : أشتهي أن أرى الشيطانَ . فقال : انظر في المرآة .

قال أبو العيناء : رأيت محمد بن مكرم يصلي صلواته كلّها ركعتين ركعتين ، فقلتُ : يامحمد ، ماهذا الذي أراك تفعله ؟ قال : عزمتُ وحياتك على الخروج إلى قُمّ(٢) إلى عند أبي .

---

(١) سورة لقمان : ١٩ .

(٢)قم : بتشديد الميم مدينة بفارس افتتحها المسلمون سنة ٢٣هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قيل لأبي العيناء : لم اتَّخَذْتَ خادمين أسودين ؟ فقال : أما أسودان فلئلا أُتَّهَم بهما ، وأما خادمان فلئلاّ يُتَّهَمَا بي .

ونظر إلى رجل قبيح الوجه ، فقال : كأنما خُلِقَ هذا الرجلُ ليُعَلِّمَ الناسُ نعمةَ الله عليهم .

وقدمَ صديقٌ له من بعضِ الأعمال السلطانية ، فدعاهُ إلى منزله وأطعمه وجعل الرجلُ يكثرُ الكذبَ ، فالتفت أبو العيناء إلى من كان معه فقال . نحن كما قال الله تعالى : (سَمّاعُون لِلكذبِ أكّالُونَ لِلسُّحْتِ)(١)

وقيل : ابنُ كَمْ أنتَ ؟ فقال : قبضه ، يعني : ثلاثاً وتسعين .

وقيل له : كيف حمْدُك افلان ؟ فقال : أحمده للُؤْمِ الزمان ، فأمّا عن حُسْنِ اختيار فلا .

واعترضه يوماً أحمد بن سعيد ، فسلّم عليه ، فقال أبو العيناء : من أنتَ ؟ قال : أحمدُ بن سعيد ، فقال : إني بلك لَعارف ، ولكن عهدي بصوتك يرتفعُ

---

(١) سورة المائدة ، ٤٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إليَّ من أسفل . فماله ينحدر عليَّ من عُلُوّ ؟ قال : لأني راكب . قال : لا إله إلا الله . لعهدي بك وأنت في طِمْرين(١) لو أقسمتَ على الله لبرّ رغبةً لأعضّك بما تكرَه .

وقال يوماً لعبيد الله بن سلمان : إلى كم يرفعُني الوزير ، ولايرفع بي رأسا ؟ .

وقال له يوماً : كيف حالُك ؟ فقال : أنتَ الحالُ ، فإذا صَلُحْتَ صَلُحتُ .

وقال يوماً لعُبيد الله بن يحيى : أيها الوزير ، قد برَّح بي حُجّابُك ، فقال له : ارفقْ . فقال : لو رفق بي فعْلُك رَفق بِك قولي .

وقيل له : لاتعجل ، فإنّ العَجاةَ من الشّيطان ، فقال : لو كان كذلك لما قال موسى عليه السلام : (وعَجِلْتُ إليك ربِّ لترضَى) (٢) .

وقال لرجل : واللهِ مافبكَ من العقلِ شيءٌ إلا مقدارَ ما تَجِبُ به الحجةُ عليك ، والنّارُ لكَ .

---

(١) الطمر : الثوب الخلق البالى

(٢) سورة طه ٨٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال المتوكلُ : لولا ذهاب بَصرِ أبي العيناء لأردتُ منادمتَه ، وبلغه ذلك ، فقال : قولُوا له : إنّي إن أُعفيتُ من قراءة نقوش الخواتم ، ورُؤْية الأهلّة صلحتُ لغير ذلك . وأنهي ذلك إلى المتوكل فضحك وأمرَ بمنادمته .

قال أبو العيناء : سمعتُ جاراً لي أحمقٌ وهو يقول لجارٍ له : والله لمممت أنْ أُوَكِّلَ بكَ مَنْ يصفعُ رقبتَك ، ويُخرِجُ هذه الجفون من أقصى حجرٍ بخراسانَ .

ودخل إلى ابن مكرمٍ ، فقال له : كيف أنتَ ؟ قال : كما تحبُ ، فقال : فلم أنتَ مُطْلَقٌ ؟(١) .

* * *

ومِنْ رَسَائِلِ أبي العَيْنَاءِ وكَلامِه المُسْتَحْسَنِ

كتب إلى أبي الوليد بن دواد : جُعلتُ فداك ، مَسَّنَا وأهلَنا الضرُّ ، وبضاعتُنَا المودةُ والشكر ، فإنْ تعطنا أكنْ كما قال الشاعر :

أنا الشّهابُ الذي يحمي دياركُم
لايَخْمُدُ الدهرَ إلاّ ضوءُه يَقِد

---

(١) مطلق : غير متقلد لشؤون الوزارة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإن لم تفعل فلسنا مِمَّنْ يَلْمِزُكَ(١) في الصَّدَقَاتِ .
(فَإِنْ أُعطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّم يُعْطَوا مِنهَا إذا هُم يَسْخَطُونَ) (٢) .

قال ابن مُكرَّم : مَنْ زعم أن عبدَ الحميدِ أكْتَبُ من أبي العيناءِ إذا أحسَّ بكرمٍ أو شَرَع في طمعٍ فقد وَهِم.

كتب إلى عُبيد الله بن سليمانَ وقد نكبه وأباه المعتمدُ ، وهما مطالبان بمالٍ ، يبيعان له مابمكان من عقار وأثاثٍ ، وعبدٍ وأمَةٍ . وأعطِي بخادمٍ أسودَ لعبيدِ الله خمسون ديناراً ، فكتب إليه أبو العيناء :

قد علمتَ — أطال الله بقاءك — أنَّ الكريم المنكوب أجدَى على الأحرارِ من اللئيم الموفورِ(٣) ، لأن اللئيم يزيدُ مع النعمةِ لؤماً ، ولاتزيدُ محنةُ الكريم إلاَّ كرماً ، هذا مُتَّكِلٌ على رَازقه ، وهذا يسيءُ الظن بخالقه ، وعبدُك إلى مِلْكِ كافورٍ فقيرٌ ، وتمنُّه على ماتَّصل به

---

(١) يلمز : يعيب ويغتاب .

(٢) سورة التوبة : ٥٨ .

(٣) الموفور : الكثير الوفر والمال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يسير ، فإن سمحتَ فتلكَ منك عادتي ، وإنْ أمرتَ بأخذِ ثمنِه فمالُكَ منه مَادّتي . أدام الله لنا دولتَك ، واستقبل بالنعمةِ نكبتَك ، وأدام عِزَّكَ وكرامتكَ . فوهب الخادمَ إليه .

قال أبو العيناء : قال ملكٌ لبَنيه : صِفُوا لي شَهواتِكم من النساء . فقال الأكبر : تُعجبُني القُدودُ والخُدودُ والنهودُ . وقال الأوسط : تُعجبُني الأطرافُ والأعطافُ والأردافُ . وقال الأصغر : تُعجبني الشعورُ والثغورُ والنحورُ .

كان بين أبي العيناء وبين إبراهيم بن رَباح خلّةٌ ومودةٌ وصداقةٌ قديمة ، فلما نُكِبَ مع الكتّاب في أول خلافة الواثق(١) أنشأ أبو العيناء كلاماً حكاه عن بعضِ الأعراب ، فلما وصلَ إلى الواثِق وقرِىء عليه . قال : واضعُ هذا الكلام ما أراد به غير إبراهيمَ بنِ رباح ، وكان أحدُ أسبابِ الرِّضا عنه . ونسخةُ الكلام : قال :

(١) في سنة ٢٢٩هـ حبس الواثق بعض الكتاب ، وألزمهم أموالا عظيمة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لقيتُ أعرابيّاً من أهلِ البادية ، فقلتُ : ماعِنْدَكَ من خَبَرِ البلادِ ؟ قال : قتلَ أرضاً عالِمُها(١) . قلتُ : فما عندَكَ من خبرِ الخليفةِ ؟ قال : تبحبَحَ في عزّةٍ (٢) فضربَ بِجرانِه(٣) ، وأخذ الدِّرهم من مِصره ، وأرعفَ كل قلم خيانته(٤) .

قلتُ : فما عِندكَ من خَبَرِ ابنِ أبي دُواد ؟ قال : عُضْلَةٌ(٥) لاتُطاق ، وجَنْدَلَةٌ لاتُرام . يُنْتَحى بالمُدَى لِتَحرِه فتحور(٦) ، وتُنْصبُ له الحبائلُ حتى يقول : الآنَ ، ثم يَضْبِرُ(٧) ضَبْرَةَ الذئب ، ويتملَّسُ

---

(١) كنايه عن الخبره بما سئل عنه

(٢) تبحبح : توسط ، كنايه عن السكن

(٣) الجران في الأصل باطن العنق ، وقيل . مقدم العنق من مذبح البعير .

(٤) أرعف الإناء ملأه حتى سال

(٥) العضله . الشديد الداهيه والجندلة الحجر ، أو ما يجتمع في النهر من حجارة تمنع الملاحة .

(٦) تحور . ترجع .

(٧) يضبر : يثب ، وأصلها نوع من سير الفرس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تَمَلْمُسَ الضَّب ، والخليفةُ يحتو(١) عليه ، والعراق(٢) يأخذُ بضَبْعَيْه .

قلتُ : فما عندك من خبر عُمرَ بنِ فَرج (٣)؟ فقال : ضُخامٌ حِضَجْر (٤) وغضوبٌ هِزبرٌ ، قد أهَدَفَه القومُ لبغيْهم ، وانتَضَوْا له عن قِسِيِّهم وأحْرَلُه بمثلِ مصرعٍ من يُصرعُ منهم !.

قلت : فما عندكَ من خبر ابن الزيات ؟ قال : ذاكَ رجلٌ وسِيعَ الورى بِشرِّه ، وبطن بالأُمور خبْرُه . فله في كل يومٍ صريعٌ لا تظهرُ فيه آثارُ مِخلبٍ ولا نابٍ ، إلا بتسديدِ الرأي .

قلت : فما عندك من خبر إبراهيم بن رباح ؟ قال : ذاك رجلٌ أوْبَقَه كَرمُه ، وإنْ يفُزْ للكرام قِدحُ (٥).

---

(١) الحتو : العدو الشديد .

(٢) الضبع : العضد .

(٣) عمر بن فرج حبسه المتوكل ، وكان أحد من حبسهم الواثق من الكتاب .

(٤) الضخام : العظيم من كل شيء ، وقيل العظيم الجرم ، الكثير اللحم ، والحضجر : العظيم البطن .

(٥) القدح : السهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأحر بمنجاته ، ومعه دُعاءٌ لا يخذُلُه ، وفوقهُ خليفةٌ لا يظْلِمُه .

قلت : فما عندك من خبر نجاح بن سلَمة ؟ قال : لادرُّه من خافِضِ أوتادٍ ، يقدُ كأنَّهُ لهبُ نارٍ ، له في الفيْنَةِ بعد الفينة جِلْسة عند الخليفةِ كحُسْوةِ طائر ، أو كخِلْسةِ سارق ، يقومُ عنها ، وقد أفادَ نِعماً ، وأوقَعَ نِقَماً .

قلت : فما عندك من خبر الفضل بن مروان ؟ قال : ذاك رجلٌ حُشِر بعد ما قُبِر ، فله نشرةُ الأحياء ، وفيه خمُوتُ الموتى .

قلت : فما عندك من خبر أبي الوزير (١) فقال : إخالهُ كبش الزنادِقة . ألا ترى أنَّ الخليفةَ إذا أهمله خَضِم(٢) فرتَع ، حتى إذا أمَرَ بنفْضِه أمطر فأمرع .

قلت : فما عندَكَ من خبرِ أحمدَ بن الخصيب ؟

(١) أبو الوزير : وزير المتوكل

(٢) الخضم الأكل بالفم كله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال : أحمدُ أكَلَ إكْلة نَهَم ؛ فأخلفَ خِلْفَةَ بَشَم (١) .

قلتُ : فما عندكَ من خبر المعلَّى بنِ أيوبٍ ؟ قال : ذاك رجلٌ قُدَّ مِن صَخْرة ، فصبرُه صبرُها ، ومَسُّهُ مسُّها .

قلتُ : فما عندك من خبر أحمد بن إسرائيل ؟ قال : كتومٌ غرورٌ ، وجَلْدٌ صبورٌ ، له جلد نَمِر ، كأنَّما قَدُّوا له إهاباً أنشأ اللهُ له إهاباً (٢) .

قلتُ : فما عندك من خبر عبد الله بن بعقوب ؟ قال : (أَمْوَاتٌ غَيْرُ أحياءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أيَّانَ يُبْعَثُونَ) (٣)

قلتُ : فما عندكَ من خبرِ سليمانَ بن وَهب ؟ فقال : ذاك رجلٌ اتَّخذَه السلطانُ أخاً ، فاتَّخذَ نفسَهُ للسلطانِ عبْداً .

---

(١) بشم : بالغ في الطعام حتى التخمة

(٢) الإهاب : جلد الحيوان قبل دبغه

(٣) سورة النحل : ٢١ .

قلتُ : فما عندكَ من خبر أخيهِ الحسن ؟ : فقَال عند ما استَنْوَقَتْ (١) مسألتُك ! ذاك حرمةٌ حُبِستْ بحريرهِ المجرمِ . ليس في القوم في خلٍّ ولا خَمرٍ ، هيْهَات .

كُتِبَ الحبْسُ والخَرَاجُ عليهم
وعلى المحصَنَاتِ جَرُّ الذُّيُولِ (٢)

---

(١) مأخوذ من المثل : « استنوق الجمل » . إذا ضعف أمره .

(٢) مأخوذ من بيت عمر بن أبي ربيعه

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذيول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب السابع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نوادر مزبد (١)

أخذه بعضُ الولاة وقد اتّهمه بالشُّرب ، فاستنكهه (٢) ، فلم يجد منه رائحةً ، فقال : قيّئوه . قال : منْ يضمنُ عَشَائي أصلحك الله ؟ .

قيل له مرة — وقد أفحش في كلامه — : أمثِل على كاتبيْك (٣) خيراً . قال : أكرهُ أنْ أخلط عليهما .

وادّعى رجل عليه شيئاً ، وقدّمه إلى القاضي . فأنكره ، وسألَهُ إقامة البيّنة ؛ فقال : ليس لي بينةٌ . قال : فأستحليفُه لك ؟ قال : ومَا يمينُ مزبّد أصلحك الله ؟

---

(١) مزبد المديني كان يضرب به المثل في الهزل والدعابة .

(٢) استنكهه : شم أي : رائحه

(٣) المراد : الملكان الكاتبان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فقال مُزَبِّد : ابعث ، أصلحك الله ، إلى ابن أبي ذئب (١) فاستحلِفهُ له .

وتناولَ رجلٌ من لحيته شيئاً ، فسكتَ عنه ، وكانَ الرجلُ قبيحَ الوجه ، فقال : ويحك لم لا تدعُولي ؟ فقال : كرهتُ أن أقولَ صرفَ الله عنكَ السوء فتبقى بلا وجه .

وقيل له : أيسرُّك أنَّ هذه الجُبَّةَ لك ؟ قال : نعم ، وأضربُ عشرين سوطاً . قيل : ولم تقولُ ذلك ؟ قال : لأنَّهُ لا يكونُ شيءٌ إلا بشيءٍ .

وأتاه أصحابُ له يوماً ؛ فقالوا له : يا أبا إسحاق ؛ هل لك في الخروج بنا إلى العَقِيق (٢) ، وإلى قُباء (٣) ، وإلى أُحد ناحيةَ قبور الشهداء ؛ فإن يومَنَا كما ترى يوم طيِّب. قال: اليومَ يوم الأربعاء ولستُ أبرحُ من

---

(١) ابن أبي ذئب من الصالحين .

(٢) العقيق . يطلق على كثير من المواضع ، والمراد هنا عقيق المدينة ، بجانبها ، فيه عيون ونخل .

(٣) قباء ، في طرف المدينة ، يقصر ويمد ، بها مساكن بعض الأنصار ومسجد قباء المشهور

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منزلي . قالوا : وما تكرهُ ؟ . يومُ الأربعاءِ فيهِ وُلِدَ يونسُ بن متى عليه السلام . قال : بأبي وأمي أنتم فقد التقمهُ الحوتُ . قالوا : فهو اليوم الذي نُصِرَ فيه النبيُّ عليه السلام يومَ الأحزاب . قال : أجل . ولكنْ بعدَ إذْ زاغتِ الأبصارُ ، وبلغتِ القلوبُ الحناجرُ . وظنُّو بالله الظنونَ .

استأذن مُزَبد على بعض البخلاء وقد أُهدِي له تينٌ في أولِ أوانه ، فلما أحسَّ بدخوله تناول الطبقَ . فوضعه تحت السرير ، وبقيتْ يدُه معلقة ، ثم قال لمزبِّد : ما جاء بك في هذا الوقت ؟ قال : يا سيدي ؛ مررت السَّاعة ببابِ فلان ، فسمعتُ جاريته تقرأُ لحناً ما سمعتُ قطُّ أحسنَ منه ، فلِمَا علمتْ من شدة محبَّتِك للقرآن ، وسماعك للألحان ، حفظتُه ، وجئتُ لأقرأه . عليك . قال : فهاته . فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ((والزَّيتون وطُورِ سِينين .)) (٣) فقال : ويلك ! أين التين ؟ قال : تحت السرير ! ! .

---

(١) سورة التين : ١و٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

احتاج مزبّد أن يبع جُبته لسوء حاله ، فنادى عليها المنادي ، فلم يطلب بشيء ؛ فقال : مزبّد : ما كنتُ أعلمُ أني كنت عُرياناً إلى الساعة .

ونظر يوماً إلى امرأته تصعد في درجة ، فقال : أنت الطلاق إنْ صعدت ، وأنت الطلاق إن وقفت ، وأنت الطلاق إن نزلت . فرَمت بنفسها من حيث بلغتْ . فقال لها : فداك أبي وأمي ! إن مات مالكٌ احتاجَ إليك أهلُ المدينة في أحكامهم .

وقالت امرأةُ مزبّد — وكانت حُبلى ، ونظرتْ إلى قُبح وجهه — . الويلُ لي إن كان الذي في بطني يُشْبهكَ ، فقال لها : الويل لي إنْ كان الذي في بطنك لا يشبهني .

دفع مرّةً إلى والي مكة ، وقد أفطر في شهر رمضان ؛ فقال له الوالي : ياعدوَّ الله ، تُفْطِر في شهر رمضان ! قال : أنت أمرتَني بذلك . قال : هذا شرٌّ ، كيف أمرتُك ؟ وَبالك . قال : حدّثتَ عن ابن عباس :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنه من صام يوم عرفةَ عَدَل صومهُ سنةً ، وقد صُمتُه . فضحك الوالي وخَلاَّه

واعتلَّ عليهِ ، وأشرف منها إلى الهلاك ، وأراد أنْ يوصي ، فدعا بعض أوليائه ، وأوصى إليه ، وكتب كتاب وصيته ، وأمر للوصيِّ بشيءٍ ؛ فلما فرغ من الكتابة رآه مُزَبِّدٌ وهو يُتْرِبُ الكِتَاب ؛ فقال وهو على تلك الحال : نعم يا سيدي ، فهو أقضى للحاجة (١) .

ونظر إلى قومٍ مُكَتَّفين يُذْهَب بهم إلى السجن ، فقال : ما قصَّةُ هؤلاءِ ؟ قالوا : خيرٌ . قال : إن كان خيراً فاكْتِفُوني معهم .

* * *

(١) أشار إلى الحديث الشريف . « إذا كتب أحدكم فليترب فإنه أنجح » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثامن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نوادر أبي الحارث جحيش[1]

قيل له : ماتقولُ في فالوذجة ؟ قال والله لو أنَّ موسى لَقِيَ فرعونَ بفالوذجةٍ لآمن ، ولكنه لقَمَه بعَصَا .

وقيل له يوماً : ماتشتهي ؟ فقال : نَشيشَ مِقْلاةٍ بين غليان قِدرٍ على رائحة شِوَاء .

وكان لايأكل الباذنجانَ ، فكايده محمدُ بنُ يحيى واتخذَ ألوانَه كلَّها بباذنجان ، فجعل كلما قُدِّمَ لونٌ فرابهُ الباذنجانُ فيه توقَّاه ، وأقبل على الخبز والملح ، فلما عطش قال : ياغلامُ ، اسقِني ماءً ليس فيه باذنجان .

وكتب يوماً إلى صديق له : أوصيكَ بتقوى الله ، إلاَّ أن تَرَى غيرَ ذلك خيراً منه .

---

(١) أبو الحارث جحيش ، أحد المشهورين بالنوادر والمزاح .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقيل له : سبقْتَ ببرذونك هذا قط ؟ قال : بلَى ، مرة . دخلنَا زقاقاً لامنفذَ له وكنتُ آخرَ القوم ، فلما رجعنا كنتُ أولَ الموكب .

ودخل جماعة من إخوانِه . فاشتهَوا عليه لوناً يطبخهُ لهم ، فدنا أحدُهم من القدرِ ليذوقَها ، وأخرج قطعة لحم وأكلهَا ، وفعل كلُّ واحد منهم كذلك ، فقال أحدهم : هي طبةٌ لكنها تحتاج إلى شيءٍ لاأدري ماهو ؟ فقال أبو الحارثِ : أنا أعلمُ . هو ذا تحتاج إلى اللحم .

وحكى دِعبلٌ قال : بلغني أنَّ أبا الحارثِ قد فُلج ، فاغتممتُ لظرفه وملاحته ، فصِرتُ إليه فوجدتُه في عافية . فحمدتُ الله وسألتُه عن خبره ؟ فقال : دخلتُ الحمَّام وأكلتُ السمك ، ودعوتُ المزيِّنَ فأخذ شعري ، فظنَّ الفالجُ لما رأى المزينَ عندي أني احتجَمت ، فلما علمَ أنه أخذَ من شعرِي تركني وانصرف .

ونظر يوماً إلى بِرْذون يُسْتَقى عليه ، فقال :

* وَمَا المرءُ إلا حيثُ يَجعَلُ نفسَهُ *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لو أن هذا همْلَجَ ماكان هذا(١) .

وأكل يوماً مع الرؤساء بيضاً مسلوقاً ، فجعل يأكل الصفْرةَ ، وينحّي البياضَ إلى بين يدي أبي الحارث عبثاً به ، فقال لما طال ذلك عليه — وتنفّس الصعداء — : سقى اللهُ روح العجّة فما أعْدَلهَا .

ودخل إلى بعضِ أصدقائه يوماً ، فقال له : ماتشتهي ؟ قال ، أما اليوم فماء حِصْرِم ، وأما غدا فهَرِيسة .

قال بعضهم : دخلتُ على جمّين أعوده من مرضٍ به ، فقلت له : ما تَشتهي ؟ فقال : أعْيُنَ الرقباء ، وألْسنَ الوشاة ، وأكبادَ الحُسّاد .

قيل لجمّين — وقد رأى سوداء قبيحة — : ابتلاك الله بحبّها ، قال : يابغيض ، لو ابتلاني بحبها كانت عندي من الحُور العين ، ولكن ابتلاك الله بأن تكونَ في بيتكَ وأنت تبغضها .

وقال له الرشيد : اللوزينج أطيبُ أم الفالوذج ؟

---

(١) هلج . أسرع فى سيره

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال : أحضِرْهُما ياأمير المؤمنين ، فأُحضرا ، فجعل يأكلُ من هذا وهذا ، ثم قال : ياأمير المؤمنين ، كلما أردتُ أن أشهد لأحدهما غمزني الآخر بحاجبه .

قال بَصريٌّ لجمين : يأتينا المدّ والجزرُ في كل يوم مرتين . قال : يستأذنُ اللهَ في هلاككم مرتين ، وكأنْ قَدِ .

ودعته امرأةٌ كان يحبّها ، فجعلت تحادثُه ولاتذكر الطعام ، فلما طال ذلك به قال : جعلني الله فِداءك ، لأسمعُ للغداء ذِكْراً . قالت له : أما تستحي ! أما في وجهي مايشغلك عن هذا ؟ قال : جعلني الله فداءك ، لو أنّ جميلا وبُثينة قعدا ساعةً لايأكلان شيئاً لَبَزَقَ(١) كل منهما في وجه صاحبه .

* * *

(١) بزق · بصق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البـــاب التـــاســـع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نوادر الجمّاز (١)

قال الجمّازُ لأبي شُراعة(٢) : كيف تجِدُك ؟ قال : أجدني وقيذا(٣) من دماميل قد ظهرت في أقبحِ المَوَاضع . قال : ماأرى في وَجهِك منها شيئاً .

قال بعضُ إخوان الجمّاز — وقد دخل إليه وهو يطبخُ قِدراً .. : لا إله إلا الله ماأعجب الرِّزق ! فقال الجماز : أعجبُ منه الحرمان . امرأتُهُ طالق إن ذُقْتَها .

---

(١) أبو عبد الله محمد بن عمرو الجماز ، بصري خبيث اللسان ماجن وهو ابن أخي سلم بن عمرو الخاسر الشاعر ، كان الجماز شاعراً صاحب مقطعات ، توفي سنة ٢٥٠هـ في أيام المتوكل .

(٢) هو أحمد بن محمد بن شراعة ، شاعر بصري جزيل اللفظ ، مات في أيام المتوكل

(٣) الوقيذ المريض المشرف على الموت .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال له السهريّ : وُلِد لي البارحة ابنٌ كأنه الدينار المنقوش . فقال الجمّاز : لاعِنْ أمَّهْ(١)

صلّى رجلٌ صلاةً خفيفة . فقال له الجمّاز : لو رآك العجاج(٢) لُسَرَّ بك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنَّ صلاتك رجز .

رأى رجلٌ الهلالَ فاستحسنه ، فقال له الجمّاز : وماتستحسنُ منه ؟ فوالله إنَّ فيه لخِصالاً لو كانت إحداهنَّ في الحمار لرُدَّ بها ، قال : وماهي ؟ قال : إنه يدخل الروازن(٣) ، ويمنعُ من الدبيب ، ويدلُّ على اللصوص ، ويسخن من الماء ، ويخرق الكَتّان ، ويورث الزكام ، ويحل الدين ، ويزهِم اللحم .

كان المتوكل يُحَدَّث عن الجمّار ، فكتبَ في حَمْلِه ، فلما دخل عليه لم يقع الموقعَ الذي ظنَّه ، فقال

---

(١) لاعن الرجل زوجته إذا قذفها بالزنى .

(٢) عبد الله بن رؤبة العجاج شاعر اشتهر بالرجز .

(٣) الروازن : الكوى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المتوكل . تكلم فإني أُريد آن استبرِئَك(١) . فقال الجمّاز : بحيضةٍ أو بحيضتين ، فضحكت الجماعة .

وقال له الفتح : قد كلّمتُ أميرَ المؤمنين فيكَ حتى ولاكَ جزيرة القرودِ ، فقال له الجمّاز : أفَلَسْتَ في السمع والطاعةِ أصلحك الله ؟ فحُصِرَ الفَتْحُ وسكتْ .

فقال له بعضُ مَنْ حضر : إنّ أميرَ المؤمنين يريد أن يهبَ لك جاريةً . فقال : ليس مثلي مَنْ غَرَّم نفسه ، ولاكذَب عند أمير المؤمنين. إن أرادتني أن أقودَ عليها ، وإلاّ فمالها عندي شيء ، فأمر له المتوكل بعشرة آلاف درهم ، وأخذها وانحدر ، فمات فرحاً .

* * *

(١) من معاني استبرأ إن الرجل لا يطأ امرأته إذا كانت متزوجة قبله ، أو منه حتى تحيض .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب العاشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نوادر المجانين

قال مجنونٌ — ولقي الناسَ منصرفين من الجمعة — : أيها الناس : (إنِّي رسُولُ الله إليكُم جميعاً) (١) . فقال له مجنونٌ آخر . (ولا تَعجلْ بالقُرآن أن يُقْضى إليْكَ وَحْيُهُ) (٢) .

ومرَّ مُوسَى بن أبي الروقاء ، فنادَاه صبَّاحٌ الموسوس : يابْنَ أبي الرَّوقاء أسمَنْتَ برذَوْنَك ، وهَزَلت دِينَك(٣) . أما واللهِ إنَّ أمامك لعقبةً لايجوزها إلاَّ المُخِفُّ . فحَبَس موسى برذونَه ، فقيل له : هذا صَبَّاحٌ الموسوس . قال : ماهو بموسوس ؟ .

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

(٢) سورة طه : ١١٤

(٣) هزل لازم ومتعد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقف رجلٌ على بُهلول ، فقال له : تعرفُني ؟ فقال بُهلول : إيْ واللهِ ، وأنْسبُك نسبة الكمْأة ، لا أصلٌ ثابتٌ ، ولافرعٌ نابت .

ودعا الرشيدُ بُهلولاً ليضحكَ منه ، فلما دخلَ دعَا له بمائدة فقُدِّمَ عليها خبزٌ وَحْدَه ، فولى بُهلولٌ هارباً ، فقال له : إلى أين ؟ . قال : أجيئكُم يوم الأضحى ، فعسى أن يكون عندكم لحمٌ .

أخرجَ بلال بن أبي بُردَة(١) من حَبسِه مجنوناً يمازحُه ، فقال له : أتدري لم أخرجتك ؟ قال : لا . قال : لأسخَرَ منك . قال : إنَّ المسلمينَ حكَّمُوا حكَمَين فسخر أحدُهما بالآخر .

قال المُبرِّد : دخلتُ يوما دَيْر هِزْقِل ، فرأيتُ في صَحنِ الدارِ مجنوناً ، فدلَعْتُ لِسَاني(٢) في وَجهه ، فنظر إلى السماء ، وقال : الحمدُ والشكرُ مَن حلُّوا ومن ربطُوا .

---

(١) بلال بن أبى بردة بن أبي موسى الأشعري ، أمير البصرة وقاضيها .

(٢) دلع لسانه : أخرجه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال بعضُهم : رأيتُ بحمصٍ مجنوناً يقول : ياقوم ، مَن يتعلمُ : « لاأدري » ؟ ياهذا ، تعلم : « لاأدري » ، فإنَّك إذا قلتَ : « لاأدري » علَّموك حتى تَدْري وإذا قلتَ : « أدري » سألوكَ حتى لاتدري .

وجاء مجنونٌ فوقفَ عند شجرة مَلْساء ، فقال : مَن يعطيني نصفَ درهم حتى أصعد ؟ فعجبَ الناسُ وأعطَوه ، فأحرزَه ، ثم قال : هاتُوا سلَّما . قالوا : ماكان السلم في الشرط . قال : وكانَ بلا سلم في الشرط؟ .

ووقف بُهلول على رَجُل ، وقال : خبِّرني عن قول الشاعر :

* وإذَا نَبَا بكَ منزلٌ فتحوَّلِ *

كيفَ هو عندك ؟ قال : جيدٌ . قال : فإن كنت في الحبس فكيف تَتَحول ؟ . قال : فانقطع الرجلُ ، فقال بهلول : الصوابُ قولُ غيرهِ :

إذا كُنتَ في دارٍ يسوءُكَ أهلُها
ولم تكُ مَكْبُولا بهـا فتحوَّلِ

أصيب إسحاقُ بنُ محمدِ بنِ الصبَّاح الكندي بابنٍ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

له ، فجزع ، فدخل أهلُ الكوفة يعزُّونه ، ودخل فيهم بُهلول ، فقال : أيسرُّكَ أنه بقَي وأنه مثلي ؟ . قال : لا واللهِ ، وإنها لتعزية ! .

هرب مجنون من الصبيان ، ودخل دهليزا ، وأغلقَ الباب في وجوههم وجلس ، فخرج إليه صاحبُ الدار ، فقال : لِمَ دخلتَ دَاري ؟ . قال : من أيدي هؤلاء أولاد الزِّنَى . فدخل صاحبُ الدار ، وأخرج طبقاً عليه رُطَبٌ كثيرٌ ، فجلس المجنون يأكل ، والصبيان يصيحون على الباب ، فأخرج المجنونُ رأسه إلى صاحب الدار ، فقال : بابٌ بَاطِنُه فيهِ الرَّحمَةُ وظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ .

قيل لمجنون كان بالبَصرَةِ : عُدَّ لنا مجانينَ البصرة. قال : كلفتموني شَطَطاً ، أنا على عَدِّ عقلائِهم أقْدَر .

قال الفزَاري : رأيتُ مجنوناً يُسَوِّي رأسَ سكرانَ ، ويقول له : يؤيؤ(١) ، واللّه لا أفلحت أبداً .

شدَّ مجنونٌ على رجل بالبَصرَةِ ، فأخذه الرجل

---

(١) اليؤيؤ : طائر صغير أصفر اللون يضرب إلى الزرقة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فضربه . فقال الناس : إنه مجنون ، وجعل المجنون يقول مِنْ تحته : ويحكم أفْهموه .

وجاز بهلول بسُوق البزّازين ، فرأى قوماً مُستجمعين على باب دُكّان ينظرونَ إلى نقبٍ قد نُقِبَ على بعضهم ، فاطّلع في النّقب ، ثم قال : وكلكم لا تعلمون ذا مِنْ عملِ مَنْ ؟ قالوا : لا . قال : فإني أعلم . فقال الناس : هذا مجنونٌ يراهم بالليل ولا يتحاشَونَه ، فأنعِمُوا له القول لعله يخبرُ بذلك . فسألوه أن يخبرهم . فقال : إني جائع ، فهاتوا أربعةَ أرطال رقاقٍ ورأسين ، فأحضروا ذلكَ وأكل ، فلما استوفى قال : هوذا أشتهي شيئاً حلُوا ، فأحضروا له رطلين فالوذج فأكله . وفرغ منه وقام وتأمّل النقب ، ثم قال : كأنكم الساعةَ لستم تعلمون هذا مِن عَمَلِ مَن ؟ قالوا : لا . قال : هذا من عمل اللصوص لاشكّ . وعَدَا .

جاءت امرأةُ دَنْدانَ المجنونِ إلى القاضي ؛ فقالت . أصلحك اللّه ، إنه يُجيعُني ويضربُني ! قال القاضي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما تقُول ؟ . قال دندانُ : أما الضربُ فنعم ، وأما الجوعُ فهي طالقٌ ثلاثـاً إن لم تجيء معي إلى منزلي مع أصحابك أيها القاضي . فقال لأصحابه : قومُوا بنا لا يَحْنَث . فقام القاضي ، وذهب معه ، فلما دخل جاء به إلى مَنْزِلة فيها رَجيـعٌ (١) عظيم ، فقال : أصلحَك اللّه . هذا يخرجُ مِنْ بطن جائعٍ ؟ . قال : أخزاك اللّه ، فإنك أحمقٌ . قال : أحمقُ مني منْ أطاع المجانينْ .

كان بُهلول يوماً جالساً والصبيانُ يؤذُونه وهو يقول : لاحول ولاقوة إلا باللّه . يُعيدهُ مِرَاراً ، فلما طال أذاهم له أخذَ عصاه وقال : حَمِيَ الوطيسُ ، وطابتِ الحَرْبُ ، وأنا على بيِّنةٍ من رَبِّي . ثم حمل عليهم وهو يقول :

أشُدّ على الكتيبـةِ لا أبَالي
أفيها كـان حَتْفي أم سِوَاها(٢) .

---

(١) الرجيع : الروث .

(٢) البيت للعباس بن مرداس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فتساقط الصبيانُ بعضُهم على بعض ، وتهارَبُوا ، فقال : هُزِم القوم وولّوا الدبر . أمرنا أمير المؤمنين — رضي الله عنه — ألاّ نتبعَ مُوَلّياً ، ولا نُدَفِّفَ(١) على جريح ، ثم رجع وجلس وطرح عَصَاه ، وقال :

ألْقَتْ عَصَاها واستقرّ بها النَّوَى
كما قرَّعينـاً بالإيَاب المُسافِرُ(٢)

* * *

(١) دفف على الجريح : أجهز عليه .
(٢) ألق المسافر عصاه : بلغ موضعه واستقر به

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الحادي عشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نوادر البخلاء

قال بعضُهم لبخيل . لم لا تدعوني يوماً ؟ . قال . لأنك جيِّدُ المَضْغِ ، سريعُ البَلْع ، إذا أكلتَ لُقْمَةً هيَّأت أخرى . قال : فتريدُ مني إذا أكلتُ لقمةً أن أصلِّي رَكْعَتين ، ثم أعودُ إلى الثانية ؟ .

دخل واحدٌ إلى بعضِهم وهو يأكل ، ومعه آخر ؛ فقال للدَّاخِل : تعالَ كُلْ . قال : قد تَغَدَّيتُ . فقال : هذا أيضاً رغم أنه تغدَّى .

ودخل آخرُ على بعضِهم وبين يديه طبقٌ عليه تين ؛ فلما أحسَّ بالدَّاخل غطَّى الطَّبَق بذَيله ، وأدخَل رأسه في جيبه ، وقال للدَّاخل : كُنْ أنتَ في الحجرةِ الأُخرى حتى أفرغَ من بخوري

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أكل ابن المدبّر يوماً عند ابن الفيّاض(١) ، فقُدّمت جُواداية(٢) في نهاية الجوده ، وأمعن ابنُ المدبّر فيها ، فلم يصبر ابنُ الفيّاضِ حتى قال له : أليسَ زعمتَ أنك لستَ صاحبَ جُوداب . ؟

وقال بعضُ المبخّلين لرجلٍ على مائدته : اكسِر ذلك الرّغيفَ . فقال : دعهُ يُبْتَلى به غيري .

دعا بخيلٌ قوماً ، واتّخذ لهم طعاماً . فلما جلسُوا يأكلون وهو قائم يخدُمهم ، وأمعنُوا في الأكلِ جعل صاحبُ البيت يتلُو فيما بينه وبين نفسه . (وَجَزَاهُم بما صبَرُوا جنّةً وَحريراً) (٣)

وكان جعفرُ بن سليمان بخيلاً على الطعام ، فرُفِعَت المائدةُ من بين يديه وعليها دجاجةٌ ، فوثب عليها بعضُ بنيه وأكل منها ، وأُعيدتْ عليه من غدٍ ، فلما رآها وقد أُكِلَ مِنها شيءٌ . قال : من هذا الذي تعاطى فعقَر(٤)

---

(١) علي بن محمد القاض ، كاتب

(٢) الجوداب : طعام يتخذ من اللحم والرز والسكر والبندق .

(٣) سورة الإنسان ، ١٢

(٤) إشارة إلى الآية : (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر)سورة القمر . ٢٩.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قالوا : ابنُكَ فلان . فقطع أرزاقَ بنيه كلِّهم ، فلما طال عليهم قال بعضُ بنيه : أفتهلكُنَا بما فعل السفهاء منّا(١) ، فأمر بردّ نصف أرزاقهم .

وقف واحدٌ على الحُطيئة يستقْريه(٢) فسمعه . فقال : إنّ الرَّمْضَاءَ قد أحرقت قدميّ . قال . بلْ عليهما تبردا قال : وما عندكَ عبرُ هذا ؟ . قال : بلى ، هراوةٌ من أرزن(٣) معتجَّرة . قال : إني ضيف . قال : للضيفان أعددْتُها .

قال أبو الأسود الدُّؤلي — وكان بخيلاً — : لو أطعمنَا المساكينَ في أموالنا كنّا أسوأ حالاً منْهم .

قال الجاحظ : حدّثني بعضُ أصحابنا قال : كنا منطلقين إلى رجلٍ من كبار أهل العسكر ، وقد كان لبثْنا عنده يطولُ ، فقال له بعضُنا : إن رأيتَ أن تجعل

---

(١) إشارة إلى الآية : (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) سوره الأعراف : ١٥٥ .

(٢) يستقريه . يطلب منه القرى ، وهو طعام الضيف .

(٣) الأرزن : شجر صلب والخشبة العجراء التي بها عقد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انا أماره إذا طَهَرتْ خَفَّمْنَا ، ولم نُنْعِلك بالقُعود . فقد قال أصحابُ معاويةَ مثلَ الذي قلنا لك ، فقال : أمارةُ ذلكَ إذا قلتُ : إذا شئتُم . وقال أصحابُ يزيدَ مثلَ دلك . فقال : إذا قلتُ : على بركة اللّه ، وقيل لعبد الملك ، فقال : إذا ألقيتُ الخَيْزُرانةَ من يدي ، فأيَّ شيء تجعل انا أصاحَك اللّه ؟ فقال : إذا قلتُ : يا غلام ، الغداء .

قال جُحْظَةُ(١) : دخلتُ وأنا في بقايا علّة على كاتب ، فقدم إلينا مَضيرَةً ، فأمعنتُ فيها ، فقال : جُعْلتُ فداكَ ، أنتَ عليلٌ ، وبَدنُك نحيل ، واللبن يستحيل ، فقلت : والعظيمُ الجليل لا تركتُ منها كثيراً ولا قليلاً ، وحسبُنا اللّه ونِعْمَ الوكيلُ .

حُقِنَ عُمَرُ بنُ يزيدَ الأسدي(٢) بحُقنة فيها دُهْنٌ ، فلما حرّكَهُ بطنُه كرهَ أن يذهبَ الدهنُ

---

(١) جحظة . هو أحمد بن جعفر بن موسى البرمكي ، لقب بجحظة لجحوظ عينيه ، أديب ، وشاعر ، ونديم ، ولد سنة ٢٢٤هـ ، وتوفي سنة ٣٢٤هـ .

(٢) هو عمر بن بريد الأسدي ، أحد الشجعان المقدمين في حكم بني مروان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

صياعاً ، فدعا بطَسْت وجلس عليه . ثم قال : صَمّوا هذا الدهن فإنه يصلح للسِّراج .

وأوصى بعضُهم ابنه ، فقال : كُن مع الناسِ كلاعب الشِّطْرنج يحفظُ شَتْتَه .

كان بالكوفة رجلٌ من المُصلحين — وهذا لقبُ المُقدَّمين منهم في اللؤم — فبلغه أنَّ بالبصرة رجلاً من المصلحين مقدَّما في شأنه ، فقام الكوفيّ ، وصارَ إلى البصرة ليَلْقَى صاحبَه . فلما قدم عليه قال له : مَنْ أنتَ ؟ . قال : أنا مصلحٌ من أهل الكوفة ، وقد بلغني خَبَرُك ، فرحَّب به ، وأدخله البيت وأجلسَه ، وأخذ قطعةً ومرَّ ليشتري له شيئاً يأكله ، فلما خرج إلى السوق دَنا من البقال ، فقال : عندك خبز ؟ فقال : عندي خبزٌ كأنَّه السمنُ فقال المصلحُ في نفسه : لِمَ لا أشتري ما نعته به ؟ فذهب إلى آخرَ ، وقال : أعندك سمن ؟ فقال : عندي سمنٌ كأنه الرِّيت فقال في نفسه : أذهبُ فآخذُ ما نعته به ، فذهب إلى بقّال آخر ، فقال : عندك زيت ؟ قال : عندي ريت كأنه الماء . فقال في نفسه : عندي واللّه راويةُ ماء . فرجع إلى البيتِ ، وأخذ الماء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في غَضَارة(١) وقدمه إلى الكوفيّ وقال : كُل هذا ، فإنه نَعْتُ النَّعت ، فقال الكوفي : أنا أشهدُ أنكم أحذقُ بالإصلاح منّا بألفِ دَرجة .

قال بعضهم : بِتُّ عند رجلٍ من أهل الكوفة . وهو من المُوسِرين المعروفين بحُسنِ الحال ، ولهُ صِبيانٌ نيامٌ بحيث أراهم ، فرأيتهُ في الليل يقومُ فيقلِّبُهم من جَنْبٍ إلى جنب ؛ فلما أصبحنا قلت له : رأيتكَ يا أبا جعفر البارحَة تفعلُ كَيْتَ وكيت ، قال : نعم ، هؤلاء الصبيانُ يأكلون وينامونَ على اليسار ، فيُمرِيهم الطعام فيصبحون جياعاً ، فأنا أقلِّبُهم من اليسار إلى اليمين ؛ لئلا يَنْهَضِمَ ما أكلوه سريعاً .

قال بعضهم : دخلتُ الكوفةَ فسمعتُ امرأةً تقول : يا أبا جعفر الدَّقاق ، حَسيبُكَ اللّه(٢) — وقد اجتمعَ الناسُ عليهما — فقال الدقاق : مالَكِ ؟ قالت : أعطيتني كَيْلَجَةَ(٣) دقيقٍ ما جاء منها إلا ثمانون رغيفاً . قال :

---

(١) غضارة : إناء كالقلة .

(٢) حسيبك الله : انتقم الله منك .

(٣) الكيلجة والكيلقة : شيء يكال به .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يا مُسْرِفَةُ ؛ إذا كنتِ تخبزين رُغفاناً مثل الأرْحِبَة فأيُّ ذنب لي ؟ .

قال آخرُ : رأيتُ بالكوفة صبياً ومعه قُرصة(١) ، وهو يكسر لقمةً لقمةً ، ويرمي بها إلى شَقٍّ في بعض الحيطان يخرج منه دُخانٌ . ويأكلها . قال : فبقيتُ أتعجَّبُ منه ، إذْ وقفَ عليه أبوه يسأله عن خَبَره ؛ فقال الصبي : هؤلاء قد طبخُوا سكباجة(٢) حامضةً كثيرةَ التوابل ؛ فأنا أتأدَّم برائحتها . قال : فصفَعَهُ أبوه صفعَةً صُلْبَةً كادَ يقطع بها رأسَه وقال : تريدُ تُعوِّد نفسكَ من اليوم ألاَّ تأكل خبزاً إلا بأدَم .

نزل بكوفيٍّ ضَيفٌ ، فقال لجاريَته : يا جارية ، أصلحي لضيفنا فالوذَجاً . قالت الجاريةُ : ليس عندنا شيء . قال : ويلك ! فهاتي قطيفةَ إبريسم (٣) حتى يام .

---

(٣) القرصة : الجبزة من الطعام ، ومثلها القرص .

(٤) السكباجة : طعام يصنع من لحم وخل وبصل وكراث وعسل مع الأفاويه .

(١) الإبريسم . الحرير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال الضيفُ : يا سيدي ، فليس بين الفالوذَجِ والقطيفةِ رغيفٌ وقليلُ جبنٍ ؟ .

وقال آخر : رأيتُ كوفياً يُخاصِمُ جاراً له ويقاتلُه ، فقلت : ما قصَّتكما ؟ . فقال أحدهما : زارني زَائرٌ ، فتشهَّى عليَّ رُؤوساً ، فأطعمتهُ ، وأخذتُ العظام ؛ فرميتُ بها على باب دَاري أتجمَّلُ بها ، وأكْبِتُ العدوَّ ، فجاء هذا . وأخذَها من باب داري ، وجعلها على باب دارِه .

وكان بعضُ المياسيرِ منهم له والدةٌ عجوز ، فقيل لها : كم يُجري عليك ابنُك ؟ . قالت : درهماً في كل أضحى . قيل : يا سبحانَ اللّه ! درهمٌ في كل أضحى ! . قالت : نعم ، وربما أدخلَ الأضحَى في الأضحى .

وكان بعضُهم يأكل ومعه على المائده ابنهُ وروجتهُ . فقال : لعن اللّه الزَّحمة . فقال له ابنهُ : يا أبَهُ ، تعنِيني ؟ فليس ها هنا غيرِي وغيرُ أمي . قال : فترَى أعنِي نفسي ؟ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خرج نفرٌ من أهل مَرْو في سَفَر ، وصبروا على تَرك السراج للارتفاق بما يرجعُ عليهم منه حتى أَبْلَغَ ذلك إليهم ، فاتفقوا على أن يُخْرِجَ كلُّ واحد منهم شيئاً للسِّراج ، وامتنع واحدٌ منهم من أن يُعطِيَ شيئاً ؛ فكانوا إذا أسرجوا شدُّوا عينيه بمنديل إلى وقْتِ النوم ورَفْعِ السراج .

قال المنصورُ للوضين بنِ عَطَاء (١) : ما عِيالُكَ ؟ . قال : ثلاثُ بنات والمرأةُ . قال ؛ أربعٌ في بيتك . قال : فردَّد ذلكَ حتى ظننتُ أنه سيَصِلُني . قال : ثم رفعَ رَأْسَه ؛ فقال : أنت أيْسَرُ العربِ ، أربعهُ مغازلَ تدور في بَيتِك .

وسقَى إنسانٌ بخيلٌ ضيفاً له نبيذاً عتيقاً على الرِّيق . فتأوَّهَ الرجل ؛ فقيل له : لِمَ لا تتكلم ؟ فقال : إن سكتُّ متُّ ، وإن تكلمتُ ماتَ ربُّ البيت .

وكان بعضُ البخلاء يأكلُ نصفَ الليل ، فقيل له

---

(١) الوضين بن عطاء الشامي : محدث ثقة ، كان من الحفاظ البلغاء ، مات سنة ١٤٩هـ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في ذلك ، فقال : يبردُ الماء وينقمعُ الذُّباب ، وآمن فجأة الدَّاخِل ، وصُرَاخَةَ السَّائل ، وصياحَ الصبيان .

قال الواقدي : خرجتُ أنا وابنُ أبي الزناد (١) إلى بعض المواضع بالمدينة ، ورجعنا نصفَ النهار في يومٍ صائفٍ ، فقال : ما أحوجنا إلى شربة ماءٍ باردٍ ! فإذا نحنُ بسعيد مولى ابن أبي الزّناد ، فقلت له : ابعث لنا شَرْبَةَ ماء ، فقال : نعم وكَرامة ، اجلس.وبادَر مستعجلاً ، فدخل الدار ومكثَ طويلاً ، ثم خرج إلينا ، فقال : تعودونَ العشيةَ إن شاء الله .

قال العتبيُّ : لو بُذِلَتِ الجنَّةُ للأَصمعي بدرهمٍ لاستنقص شيئاً .

سأل مُتكفِّفٌ الأَصمعيّ ، فقال : لا أرتضي لك ما يحضُرني ، فقال السائلُ : أنا أرضى به ، فقال الأَصمعي : هو ، بُورك فيك .

---

(١) هو عبد الرحمن بن أبي الزناد من العلماء الأجلة ، ولد سنة ١٠٠هـ ، وتوفي سنة ١٧٤هـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أعطى المنصور بعضهم شيئاً ثم ندم ، فقال له : لا تنفق هذا المال واحتفظ به ، وجعل يكرر عليه ذلك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن رأيت فاختمه حتى ألقاك به يوم القيامة فضحك وخلاّه .

كان رجلٌ على طعام بعضِ البخلاء ؛ فأخذ عُراقا (١) فلم يجد عليه لَحْماً ، فوضعه لِيأْخذَ غيره ، فقال صاحبُ البيت : العيب بِسَسِّك (٢) .

قال بعضُهم : فلان عينُه دولابُ لقَم أضيافه .

قال بعضُهم لغلامه : هاتِ الطعامَ وأغلق البابَ .فقال الغلام : هذا خطأ . أغْلقُ البابَ ، ثم أقدمُ الطعامَ ، فقال : أحسنت أنت حُرّ

* * *

---

(١) العراق العظم .

(٢) أى لم تحد الا نقاء فلا تأخذ غيرها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثاني عشر

كلام الشطار[1]

ومن نجريب محاضرهم ونوادرهم

حكى بعضهم أن شاطراً افتخر . قال : فحفظتُ من كلامه :

أنا الموجُ الكَدِرُ ، أنا القُفْل العَسِر ، هذا وجهي إلى الآخرة ، تَأْمُر بشيء ؟ لك حاجة إلى مالكٍ خازنِ النار ؟ . أنا النَّارُ ، أنا العارُ ، أنا الرَّحا(٢) إذا دار ، أنا مشيتُ سبْبوعين (٣) بلا رَأْس ، لولا أني عليلٌ لنَخرتُ نخره نصفُها صاعقة ونصفُها زلزلة . أضعلُك

---

(١) الشاطر من أعيا أهله خبثاً .

(٢) الرحا مؤنث ، هكذا كتبها المؤلف ، مراعيا السجع ، متحاورا في الباب التقيد بالفصحى أحيانا

(٣) أسبوعين كتبها المؤلف بلهجة الشطار .

في جيبي ، وأنساك حتى بعض الساعد . أقطفُ أسْماك وأجعلُه زرَّ قميصي ، أو أستثنيك فلا أعلمُك إلاَّ في الجحيم ، أو أشركُك فلا أنولك إلاَّ على الصراط إذا صاح آدمُ : واامحموداه . والماك (١) لو كلَّمني الفيلُ لم يخرس ، أو البحرُ لم يبس ، أو عضَّني الأسد لم يضرس ، أورآني عمروذٌ (٢) لم يتعلس . أصدقائي أكثرُ من خُوص البصره ، وخَردل مصر ، وعدس الشام ، وحصى الجزيرة ، وشَوك القاطول (٣) . وحِنْطه الموصل وقصب البَطائح (٤) ، وذى الأدوار ، ودبوس فاسطين

كان بمرو رجلٌ يتمنَّى وينشطر ، ولم يكن له يومٌ من أيام العثمان قطُّ ولا ساعةٌ من فتكاتهم ، إلى أن

---

(١) لعل أصلها . وآلك أووماك ، وهي من كلام الشطار .

(٢) عمروذ — بالذال أو الدال : ملك جبار

(٣) القاطول : اسم نهر كان في موضع سامرا ، كأنه مقطوع من دسكره

(٤) البطائح : هي بطائح واسط أرض بين واسط والبصره ، كانت قديما مدنا معمره ، ثم علا الماء عمرها ، وبعد انحساره نبت فيها عوسج أكثر ورقها ورد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقع بينه وبين رجل قصّار قصعة سرّ . فضربه ضرباً وجيعاً وأذلّه فكان يسحر بذلك ويتطاول عند الفتيان به ، فتأذّى جيرانه . واحد فصّاب حتّاك ، فجاءوه وقالوا : فلان قد بأذّانا . فكيف حتّا سرّه وتدلّه . ونكمنّاه . قال : لا أدري من فلان ؟ ، ولكن إن ستتموها ضربتُ لكم القصّار وأنزلتُ كلّ مكروه به .

وقع بين ساطر وسيّده له كلام ، فقال أحدهما للآخر : لولا أنك أكبر سنّاً مني لحرّحتك . ثم مضى غيّر بعيد ، فوقع بينه وبين آخر فقال : والله لولا أنك أصغر مني لناطحتك ، فقال له رجل : يا بن الزانية ، متى ينفق لك ذا أم تناطحه ؟

قال بعضهم رأيتُ ساطرا يضرب بالقامس (١) ، وهو ينظر إلى الأرض . فلما باع الضربُ منه قال له الوالي : ارفع رأسك فقال : يا سيدي ، بسيّ رأسها . قال . وما معنى نفي رأسها ؟ قال الجلاّد : كنت

(١) القامس حمل ملبط من حمال السمن ، أو حمل ضخم من اللبف .

أصبحت وهو يصور برجليه في الأرض بطة وقد بقي رأسها .

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : دخلت على فتيان من أهل المدينة يشربون ، وإذا هم متكئون على كلاب كديدية . فقال بعضهم : هاتوا وسادة لأبي محمد ، فجاءوا بجلب . فلما اتكأت عليه قالوا : هاتوا له أيضاً مخداة . فجاءوا بحرو . فلما تناولوا الأقداح جاء غلام وفي يده قدحه فقدح في قدحه من يحبس القدح .

قال فجاء من ناحيته . فجاء قوم إلى المعزول فوجدوه ميتاً . فقال بعضهم لو كان عربياً عذرناه ، وإنما العجب أنه أعجمي . فقال اعذروه فإن الملك يقول ولا علم

وكان سليمان بن داود منهم ، وكان لا يقعد في ظهيره . ولا يشرب من جناحه . بل يصير في قصر من قصور الأرض (١) . ولا يطلع في كوة ، ويأمر

(١) الأرض : يلاه على شاطئ دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل البصرة ، وهي أرض رملية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بذلك أصدقاءه وأصحابهُ . ويقول : إنْ تعوَّدتُم النظر إلى الماء والخروجَ إلى المتنزهات جزعتم من الحبس ، لم تدعوا ضيعا ، ولم تكسبوا مالاً .

كان يقول : لا يُعجبني الفتىَ يكونُ لَحاظا . وكان صاحبَ إطراقٍ .

كان يقولُ : إياكم وفضولَ النظرِ ، يدعو إلى فضولِ القول والعمل .

ومنهم بابويه ، وكان شيخاً كبيراً ذا رأْيٍ ونجدة ، وصدق وأمانة وهمَّةٍ بعيدة ، وأنفةٍ شديدة وكان محبوساً بعدَّة دماء فلما نَصَب حميرُ بنُ مالك السجن وقام على باب النقب يُشرِب الناس ويحميهم ؛ ليستتمَّ الكرَامة ، وجاء رسولُه إلى بابويه ، فقال : أبو نعامة ينتظرك . وليس له همٌّ سِوَاك ، وما بَرِدْتَ مِسْماراً ، ولا فككت حلفةً ، وأنت قاعد غيرُ مكترثٍ ولا محتفلٍ وقد خرج الناسُ حتى الصعفاء ؛ فقال بابويه . لبس، مثلي يخرجُ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في الغمار . وتدفع عنه الرجالُ . لم أُشاوَر ولم أُوامر (١) . ثم يقال لي الآن : كن كالظَّعينه (٢) . والأَمة ، والشيخ الفاني . والله لا أكون في الجنة تابعاً ذليلاً .

فلم يبرح . وخرج سائرُ الناس — وإجرامه وحده كإجرام الجميع — فلما جاء الأَميرُ ودخل السجنَ فلم يرَ فيه غيرَه قال للحرس : ما بالُ هذا ؟ . فقصّوا عليه القصّة ؛ فضحك وقال له : خُذ أي طريق شِئْتَ ؛ فقال بابويه : هذا عاقبةُ الصَّبر .

* * *

(١) نؤامر . يشاور

(٢) والظعينة . الزوجة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثالث عشر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العيّ ومكائدات الحمقى[1]

كتب بعض الرؤساء إلى وكيلٍ له في ضَيْعَةٍ : وقد وصلتِ النعاج، هي : تسعُ نعاج . وتسعُ نعاجٍ نصفها أربعٌ ونصفٌ نعاج .

قال بعضُهم : ما مِن شرٍّ من دَين ؛ فقيل له : ولِمَ ذاك ؟ . قال : من جرّاءِ يتعَلَّقون .

قال قاسمُ التَّمار في كلامٍ له : بينهما كما بين السماء إلى قريبٍ من الأَرض .

وقال أيضاً : لو رأيتَ إيوان كسرى كأنّما رُفِعتْ عنه الأَيدي أول من أمس .

---

(١) أبقى المؤلف في هذا الباب على كلام الحمقى وذوي العي على الرغم من مخالفة بعضه لقواعد اللغة ، لأنه أراد أن يقدمه كما نطقوه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال أبو هفّان : رأيت شيخاً بالكوفة قاعداً على باب دارٍ ، وله زيٌّ وهيئة وفي الدار صُراخ . فقلت : يا شيخ . ما هذا الصراخ ؟ فقال : هذا رجلٌ افتصد أمس فبلغ المبضع شادَرْوانه فمات . يريد : بلغ المبضع شريانه .

وصف بعضُهم امرأةً ؛ فقال : عينُها الأخرى أكبر من عينها الأخرى .

كتب بعضُ من وَزَرَ بالريّ آنفا كتاباً في معنى أبيه إلى صديق له ببغداد — وكان قد حج أبوه — : هذا الكتابُ يوصله فلانٌ ابن فلان ، وهو والدي ، وقديمُ الصحبة لي ، واجبُ الحق على ، ولي بأمره عناية .

ودخل أبو طالب صاحب الطعام على هاشميّة جارية حمدونة بنت الرشيد ، على أنْ يشتري طعاماً من طعامهم في بعض البيادر ، فقال لها : إني قد رأيتُ مَتَاعَكِ . فقالت هاشميةُ : قُل طعامك . قال : وقد أدخلتُ فيه يدي فإذا متاعك قد خمَّ وحَمِيَ(١) . وقد صار مثل

---

(١) خم : أنتن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجيفة . قالت : يا أبا طالب ، أليس قد قلّبت الشّعير ، فأعطِنا ما شئت ، وإن وجدتَه فاسداً .

ودخل أبو طالب هذا على المأمون ، فقال : كان أبوك يابا خيراً لنا منك ، وأنتَ يابَا ليس تعدُّنا . وليس تبعثُ إلينا . ونحن يابا تجّارُك وجيرانُك . والمأمون في كل ذلك يتبسّمُ .

وكان ابنٌ لسعيدٍ الجوهري يقول : صلّى اللّهُ تبارك وتعالى على محمدٍ صلى اللّه عليه وسلم .

وكان بالريّ وَرّاقٌ حسن الخط ، وكان إذا كتب اسم اللّه تعالى أو اسم النبي في القرآن أو الشعر كتبَ بعده ما يكتبه الإنسان في سائر المواضع ، فكان يكتب في القرآن : « إنّ اللّه — عزّ وجلّ — يأمُرُ بالعدلِ والإحسان »(١) « وما مُحمّدٌ — صلى اللّه عليه وسلم — إلاّ رَسُولٌ قد خلت من قبلهِ الرُّسُل » (٢) . وكان يكتبُ في الشعر :

---

(١) زائد في الآية : « عز وجل » والآية في سورة النحل : ٩٠ .

(٢) زائد في الآية : صلى الله عليه وسلم ، والآية في سورة آل عمران : ١٤٤ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إنَّ تَقْوَى رَبِّنَا — عَزَّ وَجلَّ — خَيرُ نَفَلْ

وبإذن اللّه — تبارك وتعالى — ربِّي وعجل(١)

ويكتب:

هجوتَ محمداً — صلى اللّه عليه وسلم — فأجبت عنه

وعِنْدَ اللّهِ — تعالى — في ذاكَ الجزاءُ (٢)

وقال الجاحظ قلتُ لنفيس غلامي : بعثتك إلى السوق في حاجةٍ فلم تقضِها ؛ فقال : يا مولاي ، أنا ناقهٌ من مرضي ، وليس في ركبتي دماغ .

وقال الجاحظُ : قال الحجاجُ لأبي الجهير الخراساني النخاس : أتبيع الدوابَّ المعيبةَ من جُندِ السلطان ؟ فقال : شَرِيكاتُنا في هوازها وشريكاتنا في مَدائنها ، وكما يجيء يكون . قال الحجاجُ : ما تقول ؟ . قال بعضُ من كان قد اعتاد الخطأ وكلام العلوج بالعربية : يقولُ : شركاؤنا

---

(١) زاد في الشطر الأول : « عز وجل » . وفي الثاني « تبارك وتعالى » والبيت للبيد .

(٢) زاد في البيت : صلى الله عليه وسلم » في الشطر الأول و« تعالى » في الثاني ، والبيت لحسان يرد به على أبي سفيان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالأهواز وبالمدائن يبعثون إلينا هذه الدَّوابَّ ؛ فنحن نبيعُها على وجوهها .

قال ابن أبي فنن(١) : طلبتُ من عبد اللّه بن أحمد بن الخصيب بُخوراً ، فكتب إليه : فدَتك نفسي من السوء برحمته ، كتابي إليك وأنا وحدي ، والجواري عندي ؛ فأمَّا البخور فإنَّ أبا العباس في الحَمَّام إنْ شاء اللّه .

وكتب بعضُ الشيوخ الفُضَلاء إلى شيخ من العدول بالري نَفَقَتْ بغلتُه : نُبِّئْتُ أنَّ الشيخَ قد ماتَ بغلته ، هيهاتَ هيهاتَ .

* * *

(١) أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن ، شاعر مطبوع من شعراء العصر العباسي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الأوّل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كلام للنساء الشرائف

فاطمة ابنة رسول الله عليها السلام

قالوا : لما بلغ فاطمةَ عليها السلامُ إجْماعُ أبي بكر مَنْعَها فَدَكاً(١) لاثتْ(٢) خِمارَها على رأسها ، واشْتَمَلَتْ بجلبابها ، وأقبلت في لُمَّةٍ من حفَدَتِها ونساء قومها ، تطَأُ ذُيُولَها ، ما تَخْرِمُ(٣) مِشْيَتُها مِشْيَةَ رسولِ اللّهِ صلّى اللّه عليه ، حتى دخلت على أبي بكر وهو في حَشْدٍ من المهاجرين والأنصار وغيرِهم ، فنيطَتْ دُونها مُلاءةٌ ، ثُمَّ أنَّتْ أنَّةً أجهش لها القوم

---

(١) فدك : قرية بينها وبين المدينة يومان ، أفاءها الله على رسوله ، ذكرت فاطمة أن الرسول تصدق عليها بها .ولم تستطع الإتيان بشاهدين على ذلك ، فحرمها أبو بكر منها

(٢) لاثت الخمار تلوثه : أدارته .

(٣) ما تخرم مشيتها . ما تنقص عنها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالبكاء ، وارتجَّ المجلس ثم أمْهلت هُنيَّةً(١) حتَّى إذا سكنَ نشيجُ القوم ، وهدأتْ فورتُهم افتتحتْ كلامَها بحمد اللّه والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى اللّه عليه ، ثم قالت :

« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ »(٢) . فإنْ تعرفُوه تجدوهُ أبي دونَ آبائِكمْ ، وأخَا ابن عَمِّي(٣) دونَ رجالِكم ، فبلَّغ الرسالةَ صادعاً بالنِّذارة ، بالغا بالرسالة ، مائِلا عن سَنَنِ المشركين ضاربا ثَبَجَهم(٤) ، يدعو إلى سبيل ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة ، آخذاً بأكْظَام(٥) المشركين ، يهشِّمُ الأصنامَ ويفْلقُ الهامَ ، حتى انهزم الجمعُ وولَّوْا الدُّبُر ، حتَّى تتقرَّى(٦) الليلُ عنْ صبحه ، وأسفر الحقُّ عن

---

(١) هنة : بمعنى هنيهة ، تصغير هنة ، وهي القياس في التصغير .

(٢) سورة التوبة ١٢٨ .

(٣) إشارة إلى مؤاخاة رسول الله لعلي

(٤) الثبج : الوسط

(٥) الأكظام جمع كظم وهو مخرج النفس .

(٦) تقرى : تشقق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مَحْضِه(١) ، ونطقَ زعيمُ الدين ، وخرستْ شَقَاشق(٢) الشيطان ، وتَمّتْ كلمةُ الإخلاص ، « وكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَة مِنَ النّار(٣) » ، نُهْزَةَ(٤) الطامع ، ومَذْقَةَ الشّارب(٥) ، وقَبْسَةَ العجلان ، وموطِئَ الأقْدام ، تَشربون الطَّرْق (٦) ، وتقتاتون القِدّ ، أذلةً خاسئين ، يخطَفكم الناسُ من حولِكم ، حتّى أنقذكم اللّهُ برسوله صلى اللّه عليه بعدَ اللُّتيّا والتي ، وبعد أن مُنِيَ ببُهَم الرجال(٧) وذُؤْبان العرب ، ومَرَدةِ أهل الكتاب « كُلَّمَا أوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْب أطْفَأهَا اللّهُ »(٨) . أوْ نجَم قَرنٌ للشيطان ، أو فَغَرَتْ

---

(١) المحض الخالص .

(٢) والشقاشق القول فيه كذب .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٤) نهزة الطامع : اسم للشيء المعرض لك كالغنيمة .

(٥) المذقة : الشربة من اللبن المخلوط بالماء ، وفي القول شيء

(٦) الطرق : ماء السماء الذي تبول فيه الإبل. والقد : السير يقد من الجلد . والقديد : اللحم المجفف .

(٧) بهم الرجال : شجعانهم

(٨) سورة المائدة ٦٤

General Organization of the Archives, Libraries and Manuscripts
Bibliotheca Alexandrina

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فاغرةٌ للمشركين ، قذفَ أخاه في لهواتها ، فلا ينكفيءُ حتّى يطأَ صماخَها (١) بأخمصه ، ويُطفيء عاديةَ لهبها بسيفه -أو قاتَ - ويُخمِدَ لميتها بحدّه مكدوداً في ذات الله . وأنتمْ في رفاهة فكِهون آمنون وادعون .

حتّى إذا اختار الله لنبيه صلى الله عليه دارَ أنبيائه ظهرت حسكتهُ (٢) النفاق ، وسمَل (٣) جلبابُ الدّين ، ونطق كاظمُ (٤) الغاوين ، ونبغَ خامِلُ الأقلّين ، وهدرَ فنيقُ (٥) المبطلين ، فخطر في عرصاتكم ، وأطلعَ الشيطانُ رأسَه صارخاً بكم ، فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيبين وللعزّة ملاحظين ؛ ثم استنهضكم فوجدكم خفافا وأحمشكم(٦) فألفاكم غضابا ؛

---

(١) الصماخ : فتحة الأذن الباطنة وفي القول استعارة .

(٢) الحسكة : الشوكة .

(٣) سمل الجلباب . بلى وخلق .

(٤) الكاظم : المبطن للحقد .

(٥) الفنيق : الجمل الفحل .

(٦) أحمشكم : جعلكم تغضبون ، ومن معانيها : ساقكم بغضب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فوَسَمْتم غيرَ إبلكم ، وأوردتم غير شِرْبكم ، هذا والعهْد قريْب والكَلْمُ رحيبٌ، والجُرحُ لَمَّا يَنْدَمِلْ .
أبماذا زَعَمْتُم : خوفَ الفِتْنة ؟ « ألا في الفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإنَّ جَهنَّم لمحيطة بالكافرين(١)» ، فهيهاتَ فيكم ، وأنَّى بكم ، وأنىَّ تُؤفكون ، وكتاب اللّه بين أظْهُرِكم ، زواجِرُه بيِّنةٌ ، وشواهدُه لائحةٌ ، وأوامرُه واضحةٌ ، أرَغْبَةً عنهُ تريدُون ؟ أم بغيره تحكُمون ؟ « بِئْس للظَّالمينَ بَدَلاً »(٢)« وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرين » (٣) ثم لم تلبَثُوا إلا رَيْثَ أن تَسْكُنَ نَفْرَتُها تشربون حَسْوا في ارتغاء(٤) ، وتصبرُ منكم على مثلِ حَزِّ المُدَى وأنتم الآن تَزْعُمون لا إرْثَ لنَا « أفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُون»(٥)

---

(١) سورة التوبة : ٤٩ .
(٢) سورة الكهف : ٥٠ .
(٣) سورة آل عمران : ٨٥ .
(٤) مثل يضرب لمن يظهر أمراً ويبطن غيره .
(٥) سورة المائدة : ٥٠ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إيهاً معشرَ المُسْلِمةِ المهاجِرَةِ ؛ أأبْتَزُّ إرثَ أبِيهَ ؟ أبَى اللّهُ في الكتاب بابْنَ قُحافة ، أن ترثَ أباكَ ولا أرثُ أبِيهْ . لقد جئتَ شيئاً فرياً(١) . فدونكَها مخْطُومةً مَرْحُولَةً ، تلقاكَ يومَ حَشْرِك ، فنعمَ الحَكَمُ اللّهُ ، والزعيمُ محمدٌ صلى اللّه عليه ، والموعدُ القيامةُ ، وعندَ الساعةِ يخسرُ المُبْطِلُون « ولِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وسَوفَ تَعْلَمُون » (٢) .

ثم انكفأت على قبر أبيها صلى الله عليه فقالت :

قَد كانَ بعْدَكَ أنباءٌ وهنبثَـةٌ(٣)

لو كنتَ شاهِدَها لم تكثرِ الخُطَبُ

إنّا فَقَدْنَاكَ فَقْدَ الأرضِ وابِلَهَا

واخْتَلَّ أهلكَ فاحضُرْهم ولا تغِبِ(٤)

* * *

فقالت :

---

(١) الفري : العمل الذي لم يسبق إليه .

(٢) سورة الأنعام ٦٧ .

(٣) الهنبثة : الاختلاط في الكلام .

(٤) في البيتين إقواء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عائشةُ أمُّ المؤمنينَ (رضي الله عنها)

رُوِيَ أنه لما كان يومُ الجَمَلِ قامتْ عائشةُ فتكلمتْ فقالت :

أيها الناسُ ؛ إنَّ لي عليكم حقَّ الأمومةِ وحقَّ الموعظةِ ، لا يتَّهمني إلا منْ عَصَى رَبَّه . قُبِضَ رسولُ اللّهِ صلى اللّهُ عليه وسلم بين سَحري (١) ونَحْري ، وأنا إحدى نسائِهِ في الجنة ، اه ادَّخرني ربي ، وخصني من كل بُضْع(٢) وبي مُيِّزَ مؤمِنُكُم من مُنَافِقكم(٣) ، وفيَّ رخَّص اكم في صعيد الأبْواء(٤) وأبي رابع أربعة من المسلمين ، وأولُ مُسَمَّى صِدِّيقاً . قُبِضَ رسولُ اللّه صلى اللّه عليه وسلمَ وهو عنهُ راضٍ فوقذ النفاقَ(٥) ، وأغاض نَبْعَ الرِّدَةِ ، وأطفأ

---

(١) السحر : الرئة . وقد توفي عليه الصلاة والسلام ورأسه على صدرها

(٢) البضع : الفرج . وربما أرادت أنها الزوج البكر من بين أزواجه

(٣) اشارة إلى حديث الأفك .

(٤) الأبواء : المفازة .

(٥) وقذ النفاق : كسره ودمغه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ماحشَّتْ (١) يَهُود ، وأنتم حينئذ جُحظٌ . تنتظرون العَدوْة ، وتستمعُون الصَّيحة ، فرأبَ الشّأي(٢) ، وأوْذَم(٣) العَطِلة ، وامتاحَ من المَهوَات ، واجْتَهَرَ دُفْنَ الرواء ، فقبضهُ اللّه واطئاً على هامة النفاق ، مذكياً ناراً لحرب المشركين ، يقظانَ في نصرة الإسلام ، صَفُوحاً عن الجاهلين .

ورُوِيَ أنه بلغها أن ناساً يتناولون أبا بكر ، فأرسلتْ إلى أزْفَلة(٤) من الناس ، فلما حَضروا أسْدَلَتْ أستارها ، وأعلتْ وِسَادَها ، ثُمَّ دنتْ فحَمِدَتِ اللّه ، وأثنتْ عليه ، وصلَّت على نبيه صلى اللّه عليه وسلم ، وعَذلت وقرّعت وقالتْ :

أبي وما أبِيَهْ ! أبي واللهِ لا تَعْطُوه (٥) الأيدي ، طَوْدٌ مُنِيف ، وظلٌّ مديد ، هَيْهَاتَ هيهات !

---

(١) حش الحرب . أشعلها .

(٢) رأب . أصلح ، والشأى : الفساد .

(٣) أوذم الشيء : جعل له وذاماً ، وهو سير للدلاء ، والعطلة : الدلاء ، التي بلا أوذمه

(٤) أزفله جماعه من الناس ، وملها أجفلة

(٥) تعطوه . تتناوله من قرب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذبت الظنون . أنجح (١) والله إذ أكديتم ، وسبق إذ ونيتم

* سبق الجواد إذا استولى على الأمد (٢) *

فتى قريش ناشئاً ، وكهفها كهلاً ، يريش مُمْلِقَها ، ويَفُكُّ عانيَها ويلُم شعثها ويرأبُ صَدْعَها حتى حلَّتْه قلوبها ، ثم استترى في دينه فما برحت شكيمتُه في ذات الله ، حتى اتخذ بفنائه مسجداً يُحْيي فيه ما أماتت المبطلون .

وكان رحمةُ الله عليه غزيرَ الدمعة ، وقيدَ الجوانح (٣) شَجِيَّ النشيج ، فانفضَّت إليه نِسوانُ مكّةَ وَوِلْدانُها يسخرون منه ، ويستهزئون به . ((اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ)) (٤) وأكْبَرَتْ

---

(١) أي أصاب إذ أخطأتم .

(٢) صدره .

إلا لمثلك أو من أنت سابقه

والبيت للنابغه .

(٣) وقيد الجوانح : محزوناً كأنه مكسور القلب .

(٤) سورة البقرة . ١٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذلك رجالاتُ قريش ، فَحَنَتْ إليه قِسِيَّها ، وفَوَّقت له سهامها وامتثلوه غرضا (١) فما حلُّو له صَفاةً ، ولا قَصَفُوا له قَناة ، ومَرَّ على سيسائه (٢) حتى إذا ضرب الدين بجِرانه ، وألقى بركه (٣) ، ورست أوتادهُ ، ودخل الناسُ فيه أفواجاً ، ومن كل شِرعةٍ أشتاتا وأرسالا اختار الله جلَّ اسمُه لنبيه صلواتُ الله عليه وسلامه وتحياته ما عنده ، فلما قَبَضَ اللهُ رسولَه ضربَ الشيطانُ بِرواقه ، ومَدَّ طُنُبَه ، ونصبَ حبائلَه ، وأجلبَ بخيله ورَجله ، واضطربَ حبلُ الإسلام ، ومَرَجَ عهدُه ، وماج أهلُه وبغَى العوائل ، وظنتْ رجالٌ أن قد أكْشَبت نُهزَها ، ولاتَ حين التي يرجون ، وأنَّى والصِّدِّيقُ بين أظهرهم ؟ فقام حاسِرا مشمِّرا قد جمعَ حاشيتَيه ، ورفع قطريْه ، فرد نشْزَ الدين على غَرِّه ، (٤) ولمَّ

---

(١) امتثلوه : نصبوه . والقسي : جمع قوس ، وهو آلة رمي السهام .

(٢) السيساء من الدابة : ظهرها .

(٣) برك البعير : صدره .

(٤) على غره : على كسره ، والمراد تدبير أمر الدين ، وكسر الردة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شعثه بطيبه ، وأقام أوده بتقافه ، فامذقر (١) النفاقُ بوطئه ، وانتاش الدينَ فنعشه .

فلما أراح الحقَّ على أهله ، وأقرَّ الرؤوسَ على كواهلها ، وحقنَ الدماء في أهبها (٢) حضرته منيته ، نضَّرَ اللهُ وجهه ، فسدَّ ثلمته بنظيره في الرحمة ومقتفيه في السيرة والمعدلة ؛ ذلك ابنُ الخطاب ، لله أمٌّ حملت به ، ودرَّت عليه . لقد أوحدت ، فقنخ الكفرة ودنخها (٣) ، وشرَّدَ الشرك شذرَ مذرَ وبعجَ الأرضَ ونجعها (٤) ، فقأت أكنانها . ولفظت خبأها ، ترأمه ويصدف عنها ، وتصدَّى له وبأباها ، ثم وزَّع فيئها فيها ، ووَدَّعها كما صحبها . فأروني ماذا تمرتؤون . وأيَّ يومَيْ أبي تنقمون ؟ أيومَ إقامته إذْ عدلَ فيكم أو يومَ ظعنه إذ نظرَ لكم . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

---

(١) امذقر اللبن . تفرق .

(٢) جمع إهاب : الجلد .

(٣) قنخ : أذل وقهر ، ودنخها : أخضعها

(٤) بعج الأرض : شقها ، ونجعها : أذلها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقالت : لو نزل بالجبال الراسيات ما نزلَ بأبي لهاضَها ، قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه ، فاشرأبَّ النِّفَاقُ ، وارتدَّت العرب قاطبةً . وعادَ أصحابُ محمدٍ كأنهمُ مِعْزَى مَطِيرة في خِفْش (١) ، فما اختلفوا فيهِ من أمر إلا طار أبي بغلائله وغَنائِه .

ومن رأى ابنَ الخَطَّاب علم أنه كان عَوْناً للإسلام ، كان والله أَحْوَذِياً (٢) نسيجَ وحْدِه ، قد أعدَّ للأُمور أَقْرانَها .

وقالت : مَن أرضى الله بإسخاط الناسِ كَفاهُ الله ما بينه وبين الناسِ ، ومن أرضَى الناسَ بإسخاطِ الله جلَّ ذِكْرُه وَكَلَه الله إلى الناس .

وقالت : إنَّما النكاحُ رِقٌّ فليَنْظُرْ امرُءٌ مَنْ يُرِقُّ كَرِيمَتَهُ .

وقالت : خرجتُ أقفُو آثارَ الناسِ يومَ الخَنْدَقِ ،

---

(١) الخفش : البيت الدليل .

(٢) الأحوذي والأحوزي : الحسن السياق للأمور .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فسمعتُ وَئِيدَ الأَرضِ (١) خَلْفي ، فالتفتُّ فإذا أنَا بسعدِ بنِ مَعَاذ (٢) .

وقالت لها امرأةٌ : أأُقَيِّد جَمَلي ؟ قالتْ : نعمْ ، قالت : أقيدُ جَمَلي ؟ فلما عامت ما تريدُ قالت : وَجْهِي من وَجْهِكِ حَرَامٌ ؛ تعني بالجمل زوجَها أي أوحده عن النساء .

وقالت : لا تؤدي المرأةُ حَقَّ زوجها حتى لو سألها نَفْسَها وهي على ظَهْرِ قَتَبٍ (٣) لم تمنعه .

* * *

أم كلثوم بنت علي(٤)

رُوي عن بعضهم قال : رأيتُ أمَّ كلثوم بنتَ عليٍّ

---

(١) وئيد الأرض : شدة الوطء ، يسمع كالدوي من بعيد .

(٢) سعد بن معاذ الأوسي الأنصاري ، صحابي جليل ، وهو الذي حكم على يهود بني قريظة وتوفي في نفس السنة ، وله مواقف مشهورة في الإسلام .

(٣) أي على ظهر جمل . والقتب : الرحل الصغير على قدر سنام البعير .

(٤) أم كلثوم بنت علي أخت الحسين ولدت قبل وفاة الرسول ، تزوجها عمر بن الخطاب . وله منها ذرية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالكوفة ، ولم أرَ خَفِرَةً والله أنطقَ منها ، كأنما تنطق وتُفَرِّغ عن لسانِ أميرِ المؤمنينَ رضيَ الله عنه ، وقد أومأتْ إلى الناس وهم يبكونَ على الحسين — رضي الله عنه — أن اسكتُوا فلما سكنَتْ فورتهم ، وهَدأت الأجْرَاسُ . قالت :

أبدأ بحمدِ الله والصلاةِ على أبيه . أما بعد ، يا أهل الكوفةِ يا أهلَ الختْرِ (١) والخذْل ، ألاَ فلاَ رَقأت العَبْرَةُ ، ولا هَدأتِ الرَّنَّةُ ، إنما مَثَلكُم كمثل التي ((نَقَضَتْ غَزْلَها من بعدِ قُوَّةٍ أنْكاثاً تَتَّخِذُونَ أيْمَانكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ)) (٢) ألا وهلْ فيكُمْ إلا الصَّلَفُ والشَّنَفُ (٣) ، مَلَقُ الإماءِ وغَمْزُ (٤) الأعداءِ وهل أنتمْ إلا كمرعىً على دِمْنَةٍ ، وكفضَّةٍ على مَلْحُودةٍ . ألا ساءَ ما قدَّمَتْ لكمْ أنفسكُمْ أن سخطِ اللهُ عَلَيكُم وفي العذابِ أنتُم خالدون .

---

(١) الختر : أسوأ الغدر .

(٢) سورة النحل : ٩٢ .

(٣) الشنف : البغض .

(٤) الغمز : الحقد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أتبكون ؟ إيْ والله ، فابْكُوا ؛ فإنكمْ والله أحْرِياءُ بالبكاءِ ، فابكُوا كثيرا واضحكُوا قليلا ، فلقدْ فزتُمْ بعارِها ، وشَنَارِها ، ولن تَرْحَضُوها (١) بغُسْلٍ بَعْدَها أبدا ، وأنّى تَرحضُون قتلَ سليلِ خاتَمِ النُّبُوَّةِ ، ومَعْدِنِ الرسالةِ ، وسيدِ شَبَابِ الجنةِ ، ومَنَارِ مَحَجَّتِكم ، ومِدْرَهِ (٢) حُجَّتِكم . ومَفْزَعِ نازلتكم ؟ فتعسًا ونُكْسًا ! لقد خابَ السعيُ ، وخسِرت الصَّفْقَةُ ، وبُؤْتم بغضبٍ من الله ، وضُربت عليكم الذِّلَّةُ والمسكَنَة . ((لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إدّاً * تَكَادُ السَّمَاواتُ يتَفطّرنَ مِنْهُ وتَنْشَقُّ الأَرضُ وتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً)) (٣) .

ما تدرونَ أيَّ كبدٍ لرسولِ الله صلى الله عليه فَرَيْتُمْ وأيَّ كريمٍ له أبرزْتم ، وأيَّ دمٍ لهُ سفكْتم . لقد جئتمْ بهَا شوهاءَ خرقاءَ طِلاعَ (٤) الأرضِ والسماءِ ،

---

(١) رحض الثوب : غسله .

(٢) المدره : المدافع عن الجماعة .

(٣) سورة مريم : ٨٩ ، ٩٠ . والإد : الأمر الداهي المنكر .

(٤) طلاع الأرض : ملؤها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أفعجبتُمْ أنْ قطرَتِ السماءُ دماً ، ((ولَعذابُ الآخرةِ أخزَى وهُمْ لاَ يُنْصَرُونَ)) (١) .

* * *

حفصةُ أمُّ المؤمنين (٢)

خطبت حفصةُ بنتُ عمر فقالت :

الحمد لله الذي لا نظير له والفَرْدِ الذي لا شريك له .

وأما بعدُ ، فكلُّ العجَبِ من قوم زيّنَ الشيطانُ أفعالهم ، وارعَوى إلى صنيعهم ، ودبَّ في الفتنةِ لهُم ، ونصبَ حبائلَه ليختلهم ، حتى همَّ عدوُّ الله بإحياءِ البِدْعَة ، ونَبْشِ الفِتْنَةِ ، وتجديدِ الجَوْرِ بعد دُروسِه (٣) ، وإظهارِه بعد دُثُوره (٤) ، وإراقةِ الدماءِ ، وإباحةِ الحِمَى ، وانتهاكِ مَحارمِ الله عزَّ وجلَّ بعد تحصينها ، فتضرَّمَ وهاجَ ، وتوغَّرَ وثارَ

---

(١) سورة فصلت : ١٦ .

(٢) حفصة بنت عمر بن الخطاب أم المؤمنين ، تزوجها الرسول سنة ٣هـ . توفيت سنة ٤١ . أو سنة ٤٥هـ .

(٣) الدروس : البلى .

(٤) الدثور : الهلاك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غَضَباً للهِ ونُصْرَةً لدينِ الله ، فأخْسَأَ الشيطانَ وَوَقَمَ(١) كَيْدَه ، وكَفَّفَ إرادتَه ، وقَدَعَ محنّته ، وصَعّر خدَّه السّبّاقةُ إلى مُشايَعَةِ أوْلى الناسِ بخلافةِ رسولِ اللهِ صَلّى الله عليه ، الماضي على سُنَّتِه ، المُقْتَدي بدينِه ، المُقْتَصِّ لأثَرِه ؛ فلم يزلْ سِراجُه زاهراً ، وضَوْءه لامعاً ونورُه ساطعاً .

له من الأفعال الغُرَرُ ، ومن الآراء المُصاصُ(٢) ، ومن التقدم في طاعةِ اللّه عزَّ وجلَّ اللُّباب ، إلى أنْ قبضَه اللّه إليه ، قالياً لما خرجَ منه ، شانِئاً لما نزلَ من أمره ، شَنِفاً(٣) لما كانَ فيه ، صَبّاً إلى ما صارَ إليه ، وائلاً(٤) إلى ما دُعِيَ إليه ، عاشقاً لما هو فيه .

فلما صارَ إلى التي وَصَفْتُ ، وعايَنَ ما ذكرتُ أومأَ بها إلى أخيهِ في المَعْدَلةِ ونَظيرِه في السيرةِ ، وشقيقِه في الديانةِ ، ولو كانَ غَيْرَ اللّهِ أرادَ لأمالها إلى

---

(١) وقم الكيد : أذله وقهره .

(٢) المصاص . خالص كل شيء .

(٣) شنفا . مبغضا كارها .

(٤) وائلا : لاجئا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ابنه ، ولصيّرها في عقبه ، ولم يُخْرِجْها مِنْ ذُرِّيته ، فأخذَها حقَّها ، وقامَ فيها بقِسْطِها ، لم يَؤُدْهُ ثِقَلُها ، ولم يَبْهظْه حِفْظُها ، مُشْرِّداً للكُفْرِ عن موطنه ونافراً له عن وَكْرِه ، ومثيراً له من مَجْثَمِه ، حتى فتح اللّه عز وجلَّ على يديه أقطارَ البلاد ، ونَصْرُ اللّه يقدُمُهُ ، وملائكتهُ تَكْنُفُه ، وهو باللّه مُعْتَصِمٌ ، وعليه مُتَوَكِّلٌ . حتى تأكَّدَتْ عُرَا الحقّ عليكُمْ عَقْدا ، واضمحلَّت عُرَا الباطل عنكُم حَلاًّ ، نوره في الدُّجُنّاتِ ساطِعٌ ، وضَوْءهُ في الظلماتِ لامِعٌ ، قالياً للدنيا إذْ عَرَفها ، لافظاً لها إذ عَجَمها ، وشانئاً لَها إذ سَبَرَها ؛ تخطُبُهُ ويَقْلاها ، وتريدُهُ ويأباها (١) ، لا تطلبُ سواه بَعْلاً ، ولا تبغي سواهُ نُحْلا(٢) أخْبَرَها أن الّي يَخْطِبُ أرغدُ منها عَيْشاً ، وأنْضَرُ منها حُبُورا ، وأدْوَمُ منها سُرورا ، وأبقَى منها خلُوداً ، وأطولُ منها أياما ، وأغْدقُ منها أرضاً ، وأنْعَتُ منها جَمالاً ،

---

(١) تريد : عمر بن الخطاب .

(٢) النحل : العطاء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأتمّ منها بُلَهْنِيَة، وأعذبُ منها رُفَهْنِية(١) فَبَشِعَتْ نَفْسُه بذلك لعادتها ،واقشعرّت منها لمخالفتها، فَعَرَكَها بالعَزْمِ الشديدِ حتى أجابتْ ، وبالرأي الجليدِ حتى انقادتْ ، فأقام فيها دَعائمَ الإسلام . وقواعدَ السُّنّةِ الجاريةِ ، ورواسيَ الآثارِ الماضيةِ وأعلامَ أخبارِ النُّبُوَّةِ الظاهرةِ ، وظَلّ خَميصا من بَهْجَتِها ، قالياً لأثاثها ، لا يرغبُ في زِبرِجِها(٢) ولا تطمحُ نفسه إلى جِدَتِها ، حتى دُعِيَ فأجابَ ، ونُودِي فأطاعَ على تلكَ الحالِ ، فاحْتَذَى في الناسِ بأخيهِ فأخرجَها مِنْ نَسْلِهِ ، وصَيَّرها شُورَى بينَ إخوته ، فبأيِّ أفعاله يتعلقون ؟ . وبأيّ مذاهبه يتمسكون ؟ أبِطَرائقه القَويمةِ في حياته ، أم بعدْله فيكمْ عند وفاته ، أَلْهَمَنَا اللّهُ وإياكمُ طاعتَهُ ، وإذا شِئْتُمْ فَفي حِفْظِ اللّه وكَلاءته .

* * *

(١) الرفهنية : رغد العيش وخصبه .

(٢) الزبرج : الوشي .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أَرْوَى بنتُ الحارث

قيل : دخلت أرْوى بنتُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلب على معاويةَ بنِ أبي سفيانَ بالمَوْسِمِ وهي عجوزٌ كبيرةٌ ، فلما رآها قال : مَرْحَباً بك يا عَمَّةُ . قالت :

كيفَ أنت يا بْنَ أخي ، لقد كَفَرْتَ بعدي بالنِّعْمَةِ ، وأسأت لابن عَمِّكَ الصُّحبةَ ، وتسمَّيْتَ بغيرِ اسمك ، وأخذت غيرَ حقِّك ، بغير بلاء كان منك ولا من آبائك في الإسلام ؛ ولقد كفرتُم بما جاء به محمدٌ صلى اللّه عليه . فأتْعسَ اللّهُ الجدُودَ ، وصَغَّرَ منكم الخُدودَ ، حتى رَدَّ اللّهُ الحقَّ إلى أهله ، وكانت كلمةُ اللّهِ هي العليا . ونبيُّنا محمد صلّى اللّه عليه هُو المنصورُ على مَنْ ناوأه ولوْ كَرِهَ المشركون .

* * *

رُؤيا رُقَيْقَة (١)

قال مَخْرَمَةُ بنُ نَوْفل(٢) : حدثتني أميَ رُقَيْة بنتُ أبي صَيْفيِّ بنِ هاشم بن عبدِ مَناف ، قالت :

---

(١) رقية بنت أبي صيفي بن هاشم ، قيل كانت صحابية .

(٢) مخرمة بن نوفل القرشي الزهري ، أمه رقيقة ، كان من مسلمة الفتح ، ومن المؤلفة قلوبهم شهد حنينا مع النبي. توفي سنة ٥٤هـ وعمره ١١٥ سنة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تتابَعَتْ على قريش سنون أقْحَلَتِ(١) الضرع وأرقّت اللحم ، وأدَقّتِ العظم فبينا أنا نائمةٌ ، لاهَمَّ أو مُهَوِّمة (٢) إذا أنا بهاتف يهتفُ بصوت صَحل(٣) اقشعرَّ له جلدي : معاشرَ قريش إن النبيَّ الأميَّ المبعوثَ منكم قد أظلتْكُم أيامُه ، وهذا أوان نُجُومِه(٤) ألا فحَيَّهَلا(٥) بالخصْبِ والحيا ، ألافانظروا منكم رجلا وَسيطا(٦) عُظاما جُساما أبيض بَضّاً أوْطفَ الأهدابِ(٧) أشمَّ العرْنين(٨) سهلَ الخَدَّين ، له نَجْرٌ يَكْظِمُ عليه(٩) وسُنّة تهدي إليه . ألا فايدلُفْ هوَ وَولدُه ،

---

(١) أقحلت الضرع : أيبسته .

(٢) التهويم : هز الرأس من النعاس ، والمقصود هنا : الاستغراق في النوم .

(٣) صحل : فيه بحة .

(٤) النجوم : الظهور .

(٥) حي هلا : أسرعوا .

(٦) الوسيط : النسيب .

(٧) أوطف الأهداب : غزيرها .

(٨) العرنين : الأنف . وأشم العرنين ، كناية عن الرفعة .

(٩) المراد : لا يظهره .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وليدْلُف معهُ من كلّ بطنٍ رجلٌ ، فلْيَشُنُّوا (١) من الماء ، وليمسُّوا من الطِّيب ثُمَّ ليَسْتامُوا الرُّكْنَ ، وليَرْقَوا أبا قُبَيس (٢) ، وليدعُ الرجل ، وليُؤمِّن القومُ على دعائه ، فغُثْتُم ما شئتُم(٣) .

قالت : فأصبحتُ — عَلِمَ اللّهُ — مَذْعورةً قد وَلِهَ قلبي ، واقشعرَّ جلدي لما رأيتُ في منامي فقصصتُ رُؤْيايَ ، ونَمَتْ في شِعَاب مَكّةَ ، فوالحُرْمةِ والحَرَم ، ما بَقِيَ أبْطَحيٌّ إلا قالَ : هذا شَيْبَةُ الحَمْدِ ، هذا عبدُ المطلبِ . فتنامَت(٤) إليه رجالاتُ قريش ، وهبطَ إليهِ من كل بَطْنٍ رجلٌ ، فشنُّوا ومسُّوا واستلموا ، ثم ارتقوا أبا قُبَيْسٍ ، وطفقُوا يَزِفُّونَ(٥) حواليه ، ما أن يبلغُ سعيهُمَ مَنهله ، حتى إذا استووا بذروةِ الجبل قام عبد المطلب ، ومعهُ رسول اللّهِ صلّى اللّهُ

---

(١) شن الماء : صبه متفرقاً ، وسنه : صبه مجتمعاً .

(٢) جبل بمكة .

(٣) أتاكم الغيث : وغثتم : فعل مبني للمجهول . .

(٤) تنامت إليه : تناهت إليه .

(٥) يزفون : يسرعون الخطو مع تقارب وسكون .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عليه ، غلامٌ قد أيفعَ أو كربَ(١) ، فرفعَ يدهُ إلى السماء وقال :

اللهمَّ كاشفَ الكُربة ، وسادَّ الخَلّة ، أنت عالمٌ(٢) غير معلّم ، مَسْؤُول غير مُبَخّل هذه عُبداك(٣) وإماؤك بعَذرَات(٤) حَرَمكَ ، يشكون إليك سَنَتَهم التي أذهبت الظِّلفَ والخُفَّ(٥) ، فاسمعنَّ اللهم لنا ، وأمطرنَّ غيثاً مُغْدِقاً مَرِيعاً (٦) . فما رامـوا الكعبةَ(٧) حتى تفجرت السماء بمائها ، وكظَّ الوادي بثجيجه (٨) فلَسَمعتُ شيخانَ قريش وجُلَّتَها : عبد اللّه بنَ جُدعان ، وحَرْبَ بنَ أُمَيَّةَ ، وهشامَ بنَ المغيرة يقولون لعبد المطلب : هَنيئاً لكَ أبَا البَطْحاء هنيئاً لك .

* * *

(١) كرب . أوشك .
(٢) في أسد الغابة : أنت معلم .
(٣) عبداك : عبيدك .
(٤) عذرات : أفنية .
(٥) المراد : الغنم والإبل .
(٦) مريع : ترتع فيه الدواب .
(٧) رام يريم : فارق .
(٨) الثجيج : السيل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هِنْدُ بنتُ عُتْبَة (١)

قالت هندُ بنتُ عُتْبَةَ لأبيها : إني امرأةٌ قد ملكتُ أمري ، فلا تزوجْني رجلاً حتى تعرضَه عليّ . فقال : لكِ ذاك . وقال لها ذاتَ يومٍ : إنّهُ قد خطَبكِ رجلان من قومك ، ولستُ مُسَمّياً لكِ واحداً منهما ، حتى أصِفَه لكِ ، أمّا الأولُ ففي الشَرَفِ الصَّميم ، والحَسَبِ الكريمِ ، تخالين به هوجًا من غفلته ، وذلك إسْجَاحٌ(٢) من شيمته ، حَسَنُ الصّحابة ، سريعُ الإجابة ، إن تابعتِه تابَعكِ ، وإن ملْتِ كان معكِ ، تَقضين عليهِ في ماله ، وتَكْتَفين برأيكِ عنْ مَشُورته .

وأما الآخرُ ففي الحَسَبِ الحَسيب ، والرأي الأريب ، بَدْرُ أرُومته ، وعزٌّ عَشيرته ، يؤدّبُ أهله ولا يُؤَدّبونه ؛ إن اتّبعوه أسهلَ بهم ، وإن جانبُوه توعّر عنهُمْ ، شديدُ الغَيْرَة ، سريعُ الطَّيْرَة ، ضَعْبُ

---

(١) هند بنت عتبة القرشية الهاشمية زوج أبي سفيان ، أسلمت يوم الفتح ، وعفا عنها الرسول . بعد تمثيلها بحمزة بعد أن قتل ، وتوفيت في خلافة عمر بن الخطاب .

(٢) الإسجاح : حسن العفو .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حجَابِ القُبَّة ، إن حَاجٌ فغير مَنْزور(١) ، وإن نُوزع فغيرُ مَقْسُور ، قد بينتُ لك كلَيْهما . .

قالت : أما الأول فسيِّدٌ مضْياعٌ لكريمته ، مُوات لها ؛ فما عسى إنْ لم تَعْتَصِ أنْ تلينَ بعد إبائها ، وتَضيعَ تحتَ خبائها ؛ إن جاءته بولد أحْمَقَتْ وإن أنجَبتْ فعَنْ خَطأ ما أنجبتْ . اطوِ ذكرَ هَذا عنِّي لا تُسَمِّه لي .

وأما الآخرُ فبَعْلُ الحُرَّة الكَريمة ، إني لأخلاقِ هذا لوامقَةٌ ، وإني له لموافقةٌ ، وإني لآخُذُهُ بأدبِ البَعْلِ ، معَ ازومي قُبَّتي وقلَّة تَلَفُّتي ، وإنَّ السَّليلَ بيني وبينهَ لحَريٌّ أن يكونَ المدافعَ عن حَريم عشيرته ، الذائدَ عن كَتيبتها المحامِيَ عن حقيقتها ، المُتَبَّتَ لأرُومتها ، غير مُتَواكلٍ ولا زُمَّيْلٍ(٢) عندَ صَعْصَعةِ(٣) الحروب .

---

(١) غير منزور : غير قليل في حجته .

(٢) الزميل : الضعيف .

(٣) صعصعة الحروب : حركتها أو اضطرابها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال : ذلك أبو سفيان بنُ حَرْب . قالت : فزوِّجْه ولا تُلْقني إليه إلقاءة الشَّكس ولا تَسُمْه سَوْمَ الضَّرِس(١) ، ثم استخرِ اللّه عزَّ وجلَّ في السماء يَخِرْ لكَ في القضاء . فزوجها أبا سفيان . وكان الآخرُ سُهيل بنُ عمرو(٢) .

* * *

رُؤْيَا عاتِكَةَ بنتِ عبدِ المُطّلِب (٣)

كانت عاتكةُ بنتُ عبد المطلب عَمَّةُ رسولِ الله صلى الله عليه ، ساكنةَ بمكّةَ مع أخيها العباس بنِ عبد المطلب ، فرأت رؤيا قبلَ يومِ بَدْرٍ ، وقبل قُدومِ ضَمْضَمٍ عليهم ، ففزعتْ منها ، فأرسلت إلى أخيها العبّاسِ بن عبد المطلب من ليلتها ، فجاءها فقالت :

---

(١) الضرس : السيء الخلق .

(٢) سهيل بن عمرو القرشي أحد أشراف قريش ، وهو الذي منع قريشاً عن الارتداد بعد وفاة الرسول ، خرج إلى الشام مجاهداً واستشهد سنة ١٨هـ .

(٣) عاتكة بنت عبد المطلب ، اختلف في إسلامها ، فقال بعض العلماء : لم يسلم من عمات النبي غير صفية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأيتُ الليلة رؤيا قد أشفقتُ منها ، وخشيتُ على قومك الهُلْكَةَ . قال : وماذا رأيتِ ؟ قالت : لن أحدِّثك حتى تعاهدَني ألا تذكرَها لقومك ، فإنهم إنْ سمعوها آذَوْنا وأسمعُونا مالا نُحبُّ . فعاهدها العباسُ فقالت :

رأيتُ راكباً أقبل على راحلةٍ من أعلى مكة يصيح بأعلى صوته : ياآلَ غُدَرَ(١) ، اخرجوا في ليلتين أو ثلاثٍ ، ثم أقبلَ يصيحُ حتى دخلَ المسجدَ على راحلتِه فصاح ثلاثَ صيحاتٍ ، ومالَ عليه الرجالُ والنساءُ والصبيانُ ، وفزعَ الناسُ له أشدَّ الفزعِ . قالت : ثم أراه مَثَلَ على ظَهْرِ الكعبةِ على راحلته فصاحَ ثلاثَ صيحات فقال : ياآل غُدَرَ ، ياآل فُجَرَ(٢) اخرجوا في ليلتين أو ثلاث . ثم أراه مَثَلَ على أبي قُبَيْسٍ كذلك يقول ياآل غُدَرَ وياآل فُجر حتى أسمعَ مَنْ بين الأخْشبَين(٣) من أهل مكة ، ثم عَمَدَ لصخرةٍ عظيمة فنزَعها من أصلها ثم أرسلها على أهل

---

(١) غدر : معدول عن غادر .

(٢) فجر : معدول عن فاجر .

(٣) الأخشبان : جبلان يضافان تارة لمكة وتارة لمنى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مكة ، فأقبلتْ الصخرةُ لها حسٌّ شديدٌ ، حتى إذا كانت عند أصْلِ الجبلِ ارفَضَّتْ ، فلا أعلمُ بمكةَ بيتاً ولا داراً إلاّ وقد دخلتْها فلقةٌ من تلك الصخرةِ ، فقد خشيتُ على قومك .

ففزعَ من رؤياها العباسُ ثم خرجَ من عندِها ، فلقيَ الوليدَ بنَ عُقْبَةَ بنِ ربيعةَ من آخرِ تلكَ الليلةِ ، وكان خَليلاً للعباس ، فقصَّ عليه رؤيا عاتكةَ وأمرَهُ ألا يذكرَها لأحد ، فذكرها لأبيه عُتبةَ ، وذكرها عتبةُ لأخيه شيبةَ ، فارتفعَ الحديثُ حتى بلغَ أبَا جهلِ واستفاضَ في أهلِ مكة .

* * *

فاطمةُ بنتُ عبدِ المَلِكِ بنِ مَرْوان

روي عن عطاء ، قال : قلت لفاطمةَ بنتِ عبد الملك : أخبريني عن عُمَرَ بن عبد العزيز . قالت : أفعل ، ولو كان حياً مافعلت . إن عمرَ — رحمه الله — كان قد فرَّغ للمسلمين نفسَه ، ولأمورهم ذهنه ، فكان إذا أمسَى مساءً لم يَفْرُغْ فيه من حوائج الناس في يومه دعا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسراجه الذي كان يُسرَجُ له من ماله ثم صلى رَكْعَتَين ، ثم أقْعَى واضعاً رأسه على يديه ، تسيلُ دموعُه على خدَّيه يَشْهَقُ الشَّهقةَ تكادُ ينصدعُ لها قلبهُ ، أو تخرجُ لها نَفْسه ، حتى يرى الصُّبْحَ .

وأصبحَ صائماً فدنوتُ منه فقلت : ياأميرَ المؤمنين ، ألشيء كان منك ماكانَ ؟ قال : أجلْ ، فعليكِ بشأنكِ ، وخلِّيني وشأني . فقلت : إني أرجُو أنْ أتّعظَ . قال : إذاً أخبرُك ، إني نظرتُ قد وجدتُني وليتُ أمرَ هذه الأمةِ أحمرِها وأسودِها ، ثم ذكرتُ الفقيرَ الجائعَ ، والغريبَ الضَّائِعَ ، والأسيرَ المقهورَ ، وذا المال القليلِ والعيالِ الكثيرِ ، وأشباهَمن ذلك في أقاصي البلاد ، وأطرافِ الأرضِ ، فعلمتُ أن الله عزَّ وجلَّ سائلي عنهم ، وأنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حَجِيجِي(١) ، لايقبلُ الله مني فيهم مَعْذِرَةً ، ولايقومُ لي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حُجة ، فرحمتُ واللهِ يافاطمةُ

---

(١) حجيج المرء : من يحاجه ويجادله .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نفسي رحمةً دمعتْ لها عيني، ووَجِيَ لها قلبي ، فأنا كلَّما ازددتُ ذِكرا ازددتُ خوفاً فأيقظي أودَعي .

* * *

أمُّ سَلَمَةَ أمُّ المؤمنين

في حديث أم سلمة أنَّها أتت عائشةَ لما أرادت الخروجَ إلى البصرةِ فقالت لها :

إنك سُدَّةٌ بينَ رسولِ الله صلى الله عليه وأُمَّته ، وحِجَابُك مضروبٌ على حُرمته ، وقدجَمعَ القرآنُ ذَيْلك فلا تَنْدَحِيه (١) وسكِّن عُقَيْرَاكِ فلا تُصْحريها. اللهمن وارِءِ هذه الأمَّة ، لو أرادَ رسولُ لله صلى الله عليه أن يَعهدَ إليكِ عَهْدا . عُلْتِ عُلتِ (٢) بلْ قد نَهاك رسولُ اللهصلى الله عليه وسلم عن الفُرْطة(٣) في البـــلادِ ، إنّ عمودَ الإسلام لايُثَابُ (٤) بالنساء إنْ مال

---

(١) لا تندحيه : لا توسعيه بالحركة والخروج . وعقيراك : من عقر الدار .

(٢) علت : من العول ، وهو الميل .

(٣) الفرطة : من الفرط وهو السبق والتقدم .

(٤) لايثاب : لا يصلح ، من ثاب الرجل . إذا صلح بدنه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولايُرْأب(١) بهن أن صُدع ، حُمَّاديَاتُ النساء غض الأطراف ، وخَفَرُ الأعراض ، وقصَر الوَهَازة(٢) .

* * *

مُلْتَقَطَاتٌ من كَلامِهِنَّ

قالت هندُ بنتُ عتبةَ وقد عُزِّيتْ عن يزيدَ بنِ أبي سفيانَ(٣) لما مات فقيل لها : إنا لنرجو أن يكون في معاويةَ خلفاً منه . قالت : أوَمثلُ معاويةَ يكون خلفا من أحد ؟ والله لو جُمعت العربُ من أقطارها ثم رُمي به فيها لخرجَ من أيِّها شاء .

قالت خالدةُ بنتُ هاشمِ بنِ عبد مَناف لأخٍ لها — وقد سمعتْه تَجَهّم صديقاً له : أيْ أُخَيَّ ، لاتطلع من الكلام إلا ما قد رَوَّأتَ(٤) فيه قبل ذلك ،ومزجته بالحلْم ،

---

(١) يرأب : يصلح .

(٢) الوهازة : مشية الخفرات .

(٣) يزيد بن أبي سفيان صحابى ، أسلم يوم الفتح ، وشهد غزوة حنين ، وهو أحد القادة الذين وجههم أبو بكر إلى الشام ، وولي فلسطين لعمر ، وتوفي سنة ١٨ هـ .

(٤) روأ في الشيء : نظر إليه وعرف عاقبته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وداويتَه بالرِّفْقِ ، فإن ذلك أشبهُ بك . فسمعها أبوها هاشمٌ فقامَ إليها فاعتنقها وقبّلها وقال : واهاً لك ياقُبَّةَ الدّيباجِ فلُقِّبت بذلك .

قالت عائشةُ للنبي عليه السلام وقد دخل عليها : أينَ كنتَ يارسولَ الله ؟ قال : « كنتُ عندَ أمِّ سلمة . » قالت : أما تشبعُ ؟ فتبسّم . وقالت : يارسولَ الله ، لو مررتَ بعُدْوَتَين (١) إحداهما عافيةٌ لم يَرْعَها أحد ، وأخرى قد رعاها الناسُ ، أيَّها كنتَ تنزلُ ؟ قال : « بالعافيةِ التي لم يرعَها الناسُ » قالت : فلستُ كأحدٍ من نسائك .

رُوِيَ أن عمرَ نَهى أبا سفيانَ عن رشِّ بابِ منزله لئلا يمرَّ به الحاجُّ فيزلقون فيه . فلم ينته . ومرَّ عمر فزَلَقَ ببابه فعلاه بالدِّرة وقال : ألم آمرك ألا تفعلَ هذا . فوضعَ أبو سفيانَ سَبَّابته على فيه . فقال عمرُ : الحمدُ لله الذي أراني أبا سفيانَ بَبَطحاءِ مكةَ أضربُه فلا ينتصرُ ، وآمُرُه فيأتمرُ . فسمعتْه هندُ بنتُ عتبة فقالت : إحْمَدْه ياعمرُ فإنك إن تَحْمَدْهُ فقد أراك عظيماً .

* * *

(١) العدوة : شاطىء الوادي أو جانبه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثاني

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نكت من كلام النساء
ومستحسن جواباتهن وألفاظهن

مرّت امرأةٌ جميلةٌ على مسجدِ بني نُمَيْرٍ بالبصرةِ وعليه جماعةٌ منهم فقال بعضُهم : ما أكبرَ عَجيزَتَها ، وقالَ آخرُ : إنها مَلْفُوفَةٌ . وقال آخرُ : أنا أجيئكم بخبرها . فتبعَتها وضربَ يدَه على عجيزتها . قال : فالتفتت إليه وقالتْ : ((الْحَقُّ مِنْ ربِّكَ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ)) (١) ثم انصرفتْ إلى بني نُمير فقالت : يا بني نُمَير ، واللهِ ما حفظتُم فيَّ قولَ اللهِ جلَّ وعزّ ، ولا قولَ الشاعرِ ، قال اللهُ تبارك وتعالى : ((قُل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ))(٢)وقال الشاعر :

---

(١) سورة البقرة : ١٤٧ .

(٢) سورة النور : ٣٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فَغُضَّ الطَّرفَ إنكَ مِنْ نُمَيرٍ
فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابـا (١)

قالت امرأةٌ من نُمَيرٍ وحضرتها الوفاةُ ، وأهلُها مجتمعون : من الذي يقول :

لَعَمْرُكَ ما رماحُ بني نُمَيرٍ
بطائشةِ الصُّدورِ ولا قِصار (٢)

قالوا : زياد الأعجم (٣) . قالت : فإني أشهدُكم أن له الثُّلُثَ من مالي . وكان كثيراً .

وقالت امرأةٌ لزوجها : إن أَكْلك لاقْتِفافٌ ، (٤) ، وإن شُربَك لاشتفافٌ ، وإن ضَجْعَتك لالْتفافٌ ، تنامُ ليلةَ تخافُ ، وتشبعُ ليلةَ تُضافُ .

---

(١) البيت لجرير . البيان والتبيين : ٢٤٣/٢ ، وذكر الجاحظ بعدها : وأخلق بهذا الحديث أن يكون مولداً .

(٢) مختار الأغاني : ١٣٧/٣

(٣) زياد بن سليمان ، لقب بالأعجم لغلبة العجمة على لسانه ، شاعر جزل اللفظ ، ولد ونشأ بأصفهان ، وأقام بخراسان إلى أن مات .

(٤) الاقتفاف : الاتيان على جميع الطعام شرها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طلّق أعرابي امرأته فقالت له : جزاكَ الله خيراً ؛ لقد كنتَ كثيرَ المَرَقِ طيبَ العَرَقِ ، قليلَ الأَرَق ، قال : وأنتِ فجزاكِ الله خيراً ؛ لقد كنتِ لذيذةَ المُعْتَنَقِ ، عند الكَرَىَ والأَرَق ، ولكنّ ما قَضَى اللهُ قد سبق .

تزوّجَ أعرابي امرأةً أشرفَ منه حَسَباً ونَسَباً فقال : يا هذه : إنك مهزولةٌ . فقالت : هُزالي أولجني بيتك .

قالت أعرابيةٌ وقد دُفع إليها عِلْكٌ لتمضغه : ما فيه إلا تعبُ الأَضراسِ وخيبةُ الحَنْجَرة .

نظر رجلٌ إلى امرأتين يتلاعَبان فقال : مُرًّا لعنكُما اللهُ فإنّكنّ صَواحباتُ يُوسفَ . فقالت إحداهما : يا عَمِّي فمن رَمَى به في الجُبِّ . نحنُ أو أنتم ؟

ومرّت جاريةٌ بقوم ومعها طَبَقٌ مغطّى فقال بعضهم : أيُّ شيء معك على الطبق ؟ قالت : فلِمَ غطّيناه ؟ .

قال الجاحظ : ومن الأَسْجَاعِ الحَسَنَةِ قولُ الأعرابيةِ حين خاصمتِ ابنها إلى عاملِ الماء : أما كان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بطني لك وعاءٌ ؟ أما كان حِجْري لك فناء ؟ أما كان ثديي لك سقاء .

وقالت امرأة : أصبحنا ما برقُد لنا فَرَسٌ ، ولا ينام لنا حَرَسٌ .

مرَّ رجل بامرأة من غاضرة ، وإذا ابنٌ لها مُستَجَنًّى بين يديها ، وهي تقول : يرحمك الله يا بنيّ . فوالله ما كانَ مالُك لبطنك ، ولا أمرُك لعرسك ، ولا كنتَ إلا ليّنَ العَطْفة ، يُرضيكَ أقلُّ مما يُسْخِطُكَ . قال : فقلت لها : يا أمَّه ، أللك منه خَلَفٌ ؟ قالت : بلى ما هو خيرٌ منه . ثوابُ الله والصبرُ على المصيبة .

ولما قُتل الفَضلُ بنُ سَهْل (١) دخل المأمونُ إلى أمِّه يعزِّيها فيه . وقال : يا أُمَّه ، لا تحزني على الفضل ؛ فإني خلفٌ لك منه . فقالت له : وكيفَ لا أحزنُ على ولدٍ عوَّضني خلفاً مثلكَ ؟ فتعجَّبَ المأمونُ من جوابها. وكانَ يقول : ما سمعتُ جواباً قطُّ كان أحسنَ منه ولا أخلبَ للقلب .

---

(١) الفضل بن سهل ذو الرياستين وزير للمأمون كان عادلا حكيما . توفي سنة ٢٠٢هـ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حُـكي أنّ عجوزاً من الأعرابِ جلست في طريق مكّةَ إلى فتيانٍ من قريُشٍ يشربون نبيذاً لهم ، فسقوها قَدَحاً فطابت نفسها وتبسّمتْ ثم سقَوها قدحاً آخرَ ، فاحمرّ وجهُها وصحكتْ فسقوها قدحاً ثالثاً ، فقالت : أخبروني عن نسائكم بالعراق ، أيَشْرَبْنَ من هذا الشرابِ : قالوا : نعم . قالت : زَنَيْنَ وربِّ الكعبةِ .

سُئلت أعرابيةٌ فقيل لها : أتعرفينَ النُّجومَ ؟ قالت : سبحان الله أمَا أعرفُ أشياخاً وقوفاً عليّ كلّ ليلة ؟

قِيلَ لامرأةٍ أُصيبتْ بولدها : كيفَ أنت والجزَع ؟ . قالت : لو رأيتُ فيهِ دَرَكاً ما اخترتُ عليه ، ولو دامَ لي لدُمْتُ له .

خَطَبَ رجلٌ ابنةَ عمٍّ له فأخبرَها أبوها بذلك فقالت : يا أبَهْ ، سَلْهُ مالي عنده ؟ فسأله فقال : ألطفُ برّها ، وأحْملُ ذكرها ، وأعصي أمرها . فقالت : زوّجنيه .

لمّا أُهديتِ ابنةُ عبدِ الله بنِ جعفرَ إلى الحجّاجِ نظر إليها في تلك الليلةِ وعَبْرَتُها تجولُ في خدّها ،